شرح
مقصورة ابن دريد

للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي
رحمه الله

عني به
عبد الله اسماعيل الصاوي

طبع بنفقة

المكاتب العربية للتجاره والطباعة والنشر
لأصحابها القادريين وأبي عبد الله
شارع الطالعة الصغرى . شارع دار المخزن نمرة ١٢
فاس الدار البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين — وبعد، فهذا شرح موجز على مقصورة الإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي رحمه الله.

أخذت نفسي بتحقيقه وتمحيصه، وتناولت فيه تفسير غريب اللغة وما تضمنته القصيدة من الحوادث التاريخية المشهورة. وتراجم الرجال الذين وردت أسماؤهم فيها مع بيان معنى كل بيت بمفرده ليقرب فهم المقصورة على طلاب العلم وشداة الأدب والله حسبي وكافى ؟

عبد الله اسماعيل الصاوى

تعريف بابن دريد

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامى بن جرو ابن واسع بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدى بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .وهذا النسب يدل دلالة صادقة على أنه من أصل عربى . والدرد ذهاب الأسنان ودريد مصغر أدرد تصغير ترخيم لحذف الهمزة من أوله كما يقال فى أزهر زهير .

ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين فى خلافة المعتصم ، وقرأ على علمائها ثم سار إلى عمان فأقام بها إلى أن مات . بدأ القراءة على عمه الحسين ثم تولى تعليمه أبو عثمان الاشناندانى ، وروى عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعى وأبى حاتم السجستانى وأبى الفضل الرياشى والتوزى والزيادى وغيرهم من أكابر علماء العربية . وكان رأس أهل هذا العلم . روى عنه خلق منهم أبو سعيد السيرافى ، والمرزبانى ، وأبو الفرج الأصبهانى وله شعر كبير . وروى من أخبار العرب وأشعارها مالم يروه كثير من أهل العلم ، تشهد بذلك له مصنفاته ومصنفات تلامذته ولا سيما الأمالى الذى معظمه رواية لأبى على القالى عنه . ولقد تتبعت أساتذة القالى فى أماليه فوجدت له خمسة شيوخ كلهم يكنى أبا بكر فإذا روى عن أحدهم غير ابن دريد ذكر اسمه أو لقبه إلا ابن دريد فإنه إذا قال حدثنا أبو بكر مجردا عن اللقب لم يعن غيره .

وقال أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين عند ذكره ابن دريد هو الذى انتهت إليه لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على الشعر .

وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر الأحمر وابن دريد . وتصدر ابن دريد فى العلم ستين سنة ، وكان يقال ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء .

وقال الخطيب البغدادى : كان واسع الحفظ جدا تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها وحفظها .

وقال حمزة بن يوسف سألت عنه الدارقطنى فقال تكلموا فيه وقيل إنه كان يتسامح فى الرواية فيسند إلى كل واحد مايخطر بباله .

قال أبو حفص عمر بن شاهين : كنا ندخل على ابن دريد فنستحى لما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى وقدكان جاوز التسعين .

وقال الخطيب : جاءه سائل فلم يكن عنده غير دن نبيذ فأعطاه له ، فأنكر عليه غلامه فقال : لم يكن عندنا غيره وتلا قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فما تم اليوم حتى أهدى إليه عشرة دنان ، فقال : تصدقنا بواحد وأخذنا عشرة !!

وقال الأزهرى فى مقدمة كتاب التهذيب فى اللغة : وممن ألف الكتب فى زماننا فرمى بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ ، وإدخال ماليس فى كلام العرب فى كلامها أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة وقد حضرته فى داره ببغداد غير مرة فرأيته يروى عن أبى حاتم الرياشى وعبد الرحمن بن أخى الأصمعى . وسألت عنه إبراهيم بن محمد بن عرفة فلم يعبأ به ولم يوثقه فى روايته ، وألفيته فى كبر سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره وقد تصفحت كتابه الذى أعاره اسم الجمهرة فلم أر دليلا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة وعثرت من هذا

الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها فى كتابى فى مواقعها لأبحث أنا وغيرى عنها .

قلت : أما دعوى افتعال الألفاظ فابن دريد أعلم ممن اتهمه بالعربية وهو الحجة فيها فالقول قوله لا قولهم وإنما ادعوا الافتعال جهلا والقاعدة أن من حفظ فهو حجة على من لم يحفظ ، وأما التسامح فى الرواية فدعوى يحتاج إلى دليل ، ولعل للسند عنده طرقا متعددة . بقى أمر العيدان المعلقة فوجود العيدان لا يكفى لإدانة الرجل ، ولاسيما وأنها معلقة ، وأما الشراب المصفى فلعله كان نبيذا . بدليل قول الخطيب إنه أعطى السائل دن نبيذ . أما ادعاؤهم أنه ما كان يفيق من سكره فإنهم المخطئون لأنهم قصروا فى حق من حقوق الله تعالى وارتكبوا إثما عظيما ، فكان عليهم أن يقيموا عليه الحد ، ولم ينقل أحد أنهم قاموا بهذا الواجب عليهم من حقوق الله ! فلم يكن الرجل سكيراً وإنما تقول الناس عليه واتهموه بهذا ، والناس فى كل عصر مولعون بالطعن على العلماء وتجريحهم ولم يسلم من ذمهم أحد حتى الأنبياء ومع ما نقل عن ابن دريد من أنه تاب فقد لجوا يرمونه بكل آبدة . ولم يتورعوا عن ذكر المساوىء وقد أمروا بذكر المحاسن والارعواء عن غيرها .

ويؤيد هذا الرأى ما نقل عن السيوطى أنه قال : معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه فى روايته ولا يقبل فيه طعن نفطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة وقد تقرر فى علم الحديث أن كلام الأقران فى بعضهم لا يقدح اه .

ومما يسقط دعواهم ما رواه ياقوت فى معجمه ، قال الأمير أبو نصر بن أحمد الميكالى : تذاكرنا المتنزهات يوما ، وابن دريد حاضر فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وذكروا نهر الأبلة ، وسعد سمرقند ، ونهروان بغداد ، وشعب بوان بأرض فارس ، ونوبهار بلخ فقال أبو بكر : هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ، قلنا وما هى يا أبا بكر ؟ قال : عيون الأخبار للقتبى (يعنى ابن قتيبة) والزهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبى طاهر ، ثم أنشأ يقول :

ومن تك نزهته قينة وكأس تحث وكأس تصب
فنزهتنا واستراحاتنا تلاقى العيون ودرس الكتب

ولست أجد وصفا لأخلاق الناس أبلغ ولا أجمع مما وصف به ابن دريد أخلاق الناس ، وبخاصة أهل زمانه حين قال :

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبة وغى إذا ما ميز الناس عاقل
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم إلى نحو ما عاب الخليقة مائل
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنة وإن عاينوا شرا فكل مناضل
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى ولا فيهم عن زلة متغافل
وإن عاينوا حبرا أديبا مهذبا حسيبا يقولوا إنه لمخاتل
وإن كان ذا دين رموه ببدعة وسموه زنديقا وفيه يجادل
وإن كان ذا حلم يسمى بنعجة وليس له عقل ولا فيه طائل
وإن كان ذا سمت يقولون صورة ممثلة بالعى بل هو جاهل

وإن كان ذا شر فويل لأمه ... لما غنه يحكى من تضم المحافل
وإن كان ذا أصل يقولون إنما ... يفاخر بالموتى وما هو زائل
وإن كان مجهولا فذلك عندهم ... كبيض رمال ليس يعرف عامل
وإن كان ذا مال يقولون ماله ... من السحت قد أربى وبئس المآكل
وإن كان ذا فقر فقد ذل بينهم ... حقيرا مهيلا تزدريه الأراذل
وإن قنع المسكين قالوا لقلة ... وشحة نفس قد حوتها الأنامل
وإن هو لم يقنع يقولون إنما ... يطالب من لم يعطه ويقاتل
وإن يكتسب مالا يقولوا بهيمة ... أتاه من المقدور حظ ونائل
وإن جاد قالوا مسرف ومبذر ... وإن لم يجد قالوا شحيح وباخل
وإن صاحب الغلمان قالوا لريبة ... وإن أجملوا فى اللفظ قالوا مباذل
وإن هوى النسوان سموه فاجرا ... وإن عف قالوا ذاك خنثى ومبطل
وإن تاب قالوا لم يتب ، منه عادة ... ولكن لا فلاس وما ثم حاصل
وإن حج قالوا ليس لله حجه ... وذاك رياء أنتجته المحافل
وإن كان بالشطرنج والنرد لاعبا ... ولاعب ذا الآداب قالوا مداخل
وإن كان فى كل المذاهب نابزاً ... وكان خفيف الروح قالوا مثاقل
وإن كان مغراما يقولون أهوج ... وإن كان ذا ثبت يقولون باطل
وإن يعتلل يوما يقولوا ، عقوبة ... لشر الذى يأتى وما هو فاعل
وإن مات قالوا لم يمت حتف أنفه ... لما هو من شر المآكل آكل
وما الناس إلا جاحد ومعاند ... وذو حسد قد بان فيه التخاتل

وله من التصانيف هذه المقصورة ، وقد شرحها جماعة منهم ابن خالويه والفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمى السبتى ، وقد عارض

ابن دريد فى هذه المقصورة جماعة أشهرهم القاضى التنوخى كما عارضها أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصارى القرطاجنى النحوى توفى سنة ٦٨٤ ، وشرحها الشريف الغرناطى وطبعها الحاج التهامى المزوارى باشا مراكش وهى الآن بين يدى ولكن شتان ما بين مقصورة ابن دريد ومقصورة ابن حازم بل هى كما قيل :

فأين الثريا وأين الثرى . وأين معاوية من على

وهذه القصيدة المقصورة صنعها للأمير عبد الله بن ميكال فأجازه عليها عشرة آلاف درهم ، وكان ابنه أبو العباس إسماعيل تلميذاً لابن دريد إذ ذاك ، وهو الذى عناه فى قوله :

ومد ضبعى أبو العباس من بعد انقباض الذرع والباع الوزى

قال أبو العباس لم تصل يدى إذ ذاك إلا إلى ثلاثمائة دينار صببتها فى طبق كاغد ووضعتها بين يدى ابن دريد حين أنشأ المقصورة :

ومن مؤلفاته الجمهرة ، صنفها للأمير أبى العباس إسماعيل بن عبدالله الميكالى أيام مقامه بفارس فأملاها عليه إملاء ، قال الميكالى : أملى على أبو بكر الدريدى كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظا سنة ٢٩٧ فما رأيته استعان عليه بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى باب الهمزة فانه طالع له بعض الكتب ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه.

ولم يسلم ابن دريد من الحسد فقد ادعى نفطويه ابراهيم بن محمد أنه سرق كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى وهجاه بهذه الأبيات :

ابن دريد بقره وفيه عى وشره ويدعى من حمقه
وضع كتاب الجمهره وهو كتاب العين إلا لا أنه قد غيره

فلما بلغت ابن دريد هذه الأبيات قال فيه مقطوعات منها :

لو أنزل الوحى على نفطويه لكان ذاك الوحى سخطا عليه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخا عليه

قال السيوطى : كانت عند أبى على القالى نسخة من الجمهرة بخط ابن دريد

وكان قد أعطى فيها ثلثمائة مثقال فأبى ثم اشتدت به الحاجة فباعها وكتب عليها هذه الأبيات :

أنست بها عشرين عاما وبعتها	وقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها	ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن لعجز وافتقار وصبية	صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرة	مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك	كرائم من رب بهن ضنين

فأرسلها الذى اشتراها إليه وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى(١) .

وبهذه المناسبة أذكر أنه كانت لدى نسخة من معجم البلدان لأبى ياقوت كانت عدتى وعونى على تحقيق كثير من نصوص الشعر وأسماء الأماكن ثم اضطررت إلى بيعها فى سنة ١٣٦٩ ﻫ فقلت بيتا وحيدا :

دمعى على ياقوت كالياقوت ولو اننى أنفقته فى قوتى . اﻫ

وقد طبع كتاب الجمهرة فى حيدر أباد فى أربعة مجلدات مع الفهارس

ومن تآليفه كتاب الاشتقاق وقد طبع سنة ١٨٥٤ فى ليبزج وكتاب المقتبس والوشاح ، وكتاب صفة السرج واللجام طبع سنة ١٨٥٩ م ضمن مجموعة فى مدينة ليدن . وكتاب الخيل الصغير .

والأنواء . وكتاب المجتنى طبع فى الهند ومصر . وكتاب المقتنى . وكتاب الملاحن وطبع أولا فى أوربا ثم فى مصر سنة ١٣٤٧ ﻫ . وكتاب رواد العرب المسمى رواة العرب فى فهرست ابن النديم . وكتاب ما سئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا . وكتاب اللغات . وكتاب السلاح . وغريب القرآن ولم يتمه .

---

(١) لعل هذه الحكاية مفتعلة ، أو لعل القالى اضطر مرة أخرى إلى بيع كتاب الجمهرة ، فان ابن خير لم يذكرها فى الكتب التى كانت معه حين دخل الأندلس .

وكتاب فعلت وأفعلت . وأدب الكاتب والبنون والبنات . والأمالى . وتقويم اللسان لم تبيض . وكتاب المطر والسحاب والغيث طبع ليدن . وكتاب المقصور والممدود .

وقد جمع السيد محمد بدر الدين العلوى أستاذ اللغة العربية بعليكرة شعر ابن دريد فى نحو ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط وعمل له مقدمة وفهارس وتعليقات دلت على عنايته بالآداب غير أنى أرجو أن يتلافى ما فيها من هنات فى الطبعة الجديدة

ولقد كان لابن دريد تلامذة كثيرون ، كلهم أئمة فى اللغة والأدب نذكر منهم — أبا سعيد السيرافى النحوى ، وأبا عبد الله المرزبانى ، وأبا الفرج الأصبهانى، وأبا على القالى ، والزجاجى ، وابن خالويه ، والحسن بن عبد الله العسكرى ، والرمانى النحوى ، والوزير ابن مقلة ، وابن شاذان ، وأبا العباس إسماعيل الميكالى . وكان يؤم حلقة ابن دريد عدد وفير من الطلاب تغلب عليهم الوضاءة والجمال حتى قيل :

من يكن للظباء صاحب صيد فعليه بمجلس ابن دريد
إن فيه لأوجها قيدتنى عن طلاب العلا بأوثق قيد

وروى بعضهم حضرنا مجلس ابن دريد ، وكان يتضجر ممن يخطىء فى قراءته فكان غلام وضىء جعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد صابر عليه فتعجب أهل المجلس فقال رجل منهم : لا تعجبوا إن فى وجهه غفران ذنوبه ، فسمعها ابن دريد فلما أراد أن يقرأ قال ابن دريد : هات يا من ليس فى وجهه غفران ذنوبه ! فتعجبوا من صحة سمعه مع علو سنه .

قال ابن خالويه فى شرح المقصورة : كان ببغداد عباد بن عمر بن الجليس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث الكرمانى صاحب لغة ، وكان يطعن

على ابن دريد وينقض عليه الجمهرة ، فجاء غلام لابن دريد فجلس يحدثه فى الجامع ونقض على الكرمانى جميع ما نقضه على ابن دريد فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم قال أبو بكر بن دريد أعزه الله تعالى عننت الفرس إذا حبسته بعنانه فإن حبسته بمقوده فليس بمعن . قال الكرمانى الجاهل أخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عننت فيجب أن يكون معنوناً وإن كان من أعننت فيجب أن يكون معنى ، وأخطأ لكذا وكذا ، فوقف شاعر على الحلقة . فقال

أذللت كرمان وعرضتها	لجحفل مثل عديد الحصى
وابن دريد غرة فيهم	فى بحره مثلك كم غوصا
جثا على الركبة حتى إذا	أحس نزرا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها	لأصفعن هامته بالعصا

فلم يلتفت إلى الكرمانى بعد ذلك . وقال ابن خالويه فى الشرح المذكور : حضرت ابن دريد وقد ناوله أبو الفوارس غلامه طاقة نرجس . فقال يابنى ما أصنع بهذا اليوم ؟ وأنشد :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه	فلما علاه قال للباطل ابعد

ولابن دريد شعر حسن متين لا يقصر عن شأو الجيدين من المتقدمين قوة وسبكا ، ويجعله من الشعراء المعدودين المبرزين ، فمنه :

عيون ما يلم بها الرقاد	ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صالحها استهلت	وتضحك حين ينحبس السواد
لها حدق من الذهب المصفى	صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت	ضياء مثله لا يستفاد

على قضب الزبرجد فى ذراها لأعين من يلاحظها مراد

ومن شعره يرثى الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

توخى الهدى فاستنقذته يد التقى من الزيغ إن الزيغ للبرء صارع

ولاذ بآثار الرسول فحكمه لحكم رسول الله فى الناس تابع

وعول فى أحكامه وقضائه على ما قضى فى الوحى والحق ناصع

سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المدجنات الهوامع

لقد غيبت أثراؤه جسم ماجد جليل إذا التفت عليه المجامع

لئن فجعتنا النائبات بشخصه لهن لما حكمن فيه فواجع

فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع

ومنه يرثى أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى :

لن تستطيع لأمر الله تعقيبا فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحوبا

وافزع إلى كنف التسليم وارض بما قضى المهيمن مكروها ومحبوبا

إن العزاء إذا عزته جائحة ذلت عريكته فانقاد مجنوبا

فان قرنت اليه العزم أيده حتى يعود لديه الحزن مغلوبا

فارم الأسى بالأسى يطفى مواقعها جمراً خلال ضلوع الصدر مشبوبا

من صاحب الدهر لم يعدم مجلجلة يظل منها طوال العيش منكوبا

إن البلية لا وفر تزعزعه أيدى الحوادث تشتيتا وتشذيبا

ولا تفرق ألاف يفوت بهم بين يغادر حبل الوصل مقضوبا

لكن فقدان من أضحى بمصرعه نور الهدى وبهاء العلم مسلوبا

أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا أعظم بذا صاحبا إذذاك مصحوبا

وكانت وفاة ابن دريد ببغداد ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ٣٢١ وقيل يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خلت من شعبان ودفن فى مقبرة الخيزران وقيل فى المقبرة المعروفة بالعباسية ، وقد مات فى

اليوم الذى مات فيه عبد السلام الجبائى صاحب المذهب المشهور ، فقال الناس : اليوم مات علم اللغة والكلام جميعاً .

ورثاه جحظة البرمكى بقوله :

فقدت بابن دريد كل منفعة ... لما غدا ثالث الأحجار والترب
وكنت أبكى لفقد الجود مجتهداً ... فصرت أبكى لفقد الجود والأدب

ورثاه بعض البغداديين قيل هو أبو على وماأظنه بقصيدة أولها :

يلوم على فرط الأسى ويفند ... خلى من الوجد الذى يتجدد
ويكبر أن يثهل دمع أراقه ... تضرم نار فى الحشا ليس يخمد
ويستصغر الرزء الذى جل قدره ... وكل امرىء باك عليه ومسعد
حرام على الاجفان أن تردالكرى ... أجل ما لها إلا التسهد مورد
وبسل على المحزون أن يقول الأسى ... بلى حظه حزن به الدهر يكمد
فما لجفونى عذرة حين ترقد ... ولا لدموعى سلوة حين تجمد
هو الدهر يرمينا بأسهم صرفه ... ويصمى الرما ياحين يرمى ويقصد
فلا جمع إلا والزمان مفرق ... ولا شمل إلا بالخطوب مبدد
ولا عهد إلا والليالى وصرفها ... تحول به عن كل ما أنت تعهد
ولا حال إلا وهى رهن تنقل ... إذا صلحت فى اليوم أفسدها الغد
جرت عادة الدنيا بكل الذى ترى ... وليس لها ترك لما تتعود
فصبرا وتسليما لكل ملمة ... إذا لم يكن يوماً على الدهر منجد
لعمرك ماأصبحت جلداً على التى ... منيت بها لكننى أتجلد
أفى كل يوم يفقد الدهر ماجداً ... يعز علينا فقده حين يفقد
وتفجعنا الدنيا بعلق مضنة ... تنافس فيه ما حيينا ونحسد
نودع خلان الصفاء وتقطع اا ... مقادير منا ود من يتودد
نفارق من نلقى الردى بفراقه ... وينأى القريب الالف منا ويبعد
أرانا بصرف الدهر نفنى وتنفد ... وتفنى صروف الدهر أيضا وتنفد

عليك أبا بكر سلام ورحمة ... بها فى جنان الخلد أنت مخلد
وجاد ثرىً ضمنته كل وابل ... من المزن وكاف يراح ويرعد
إذا ما استطار البرق فى جنباته ... حسبت الظبا فيه عشاء تجرد
وإن أرزمت فيه الرواعد خلته ... حنين متال فى يفاع يردد
فقد ضم منك الترب مجدا وسؤددا ... يقصر عن أدنى مداه المسود
فقد ناك فقدان أن المصابيح فى الدجى ... إذا ضل عن قصد الهداية مقصد
وماتت بموت العلم منك قلوبنا ... وكنت حياها لم تزل بك ترشد
لتبكك أبكار المعانى وعونها ... وغر القوافى حين تروى وتنشد
تسير مسير الأنجم الزهر كلما ... خبا ضوء شعر أشرقت تتوقد
لأنشرت بالعلم الخليل لخلتنا ... نشاهده إن ضمنا منك مشهد
وجالستنا بالأصمعى ومعمر ... وأوجدتنا مالم يكن قبل يوجد
وخلنا أبا زيد لدينا ممثلا ... وأنت بفضل الله أعلى وأزيد
وشاهدتنا بالمازنى وعلمه ... وما غاب عنا إذ حضرت المبرد
وكنت إماما فى الروايات كلها ... يضاف إليك الصدق فيها ويسند
هوت أنجم الآداب والعلم واغتدت ... رياضهما من بعده وهى همد
وكان جناب العلم إذ كان مخصبا ... وأفنانه ميل رواء تميد
فقد أصبحت مذبان وهى هشائم ... ثوابتها تجتث منها وتعضد
مضيت أبا بكر جميعاً وخلفت ... مساعيك فضلا بيننا ليس يجحد
كما ودع الغيث الذى عم نفعه ... وأضحى به كل البرية يرفد
توحدت بالآداب والعلم والحجا ... فأنت بحسن الذكر منها موحد
حمدنا بك الأيام ثمت عاضنا ... مصابك منها ذم ما كان يحمد
شهدنا على الأيام أن سرورها ... غرور كما كنا بفضلك نشهد
على أى شىء منك نأسى إذا جرت ... محاسن وصف بائنات وعود

على علمك الوارى الزناد إذا غدا ... زناد امرىء فى علمه وهو مصلد
وأخلاقك الغر التى لو تجسدت ... لكانت نجوم السعد حين تجسد
على رأيك الماضى المضىء الذى به ... يفض رتاج الخطب والخطب موصد
فقد شملت فيك الرزية يعربا ... ولم يخل منها فيك من يتمعدد
مضى ابن دريد ثم خلد بعده ... سوائر أمثال تغور وتنجد
بدائع من نظم ونثر كأنها ... عقود زهاها درها حين تعقد
كأن لم تكن تروى غليل مسامع ... بقول به يطفى الغليل ويبرد
ولم تبده الخصم الألد بمسكت ... يغادره مستوهلا يتلدد
ولم توقظ الآراء عند سباتها ... وقد توسن الآراء حينا وترقد
ولم تجل أصداء القلوب ولم يقم ... ثقافك منها كل ما يتعود
فما منك معتاض ولا عنك سلوة ... نظيرك معدوم وحزنى مؤبد
عليك سلام الله ماذر شارق ... وغرد فى الأيك الحمام المغرد

فرحم الله أبا بكر رحمة واسعة ، وأنزل عليه شآبيب رضوانه ، وأسكنه فراديس جنانه ؟

عبد الله الصاوى

القاهرة فى جمادى الأولى من سنة ١٣٧٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ

يَا ظَبْيَةً أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمَهَا   تَرْعَى الْخُزَامَى بَيْنَ أَشْجَارِ النَّقَا (١)

---

(١) الظبية : واحدة الظباء أجمل حيوانات الصحراء وبها يضرب المثل فى جمال العيون والجيد . والمها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية وهى أيضا مضرب المثل فى جمال العيون وحورها . والخزامى نبت طيب الرائحة ورعيه تناولها له ، والنقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة . يخاطب محبوبته ويصفها بأنها أخذت من الظباء والمها بمجامع الحسن ، وهذا البيت ليس من مقصورة ابن دريد ، وإنما هو للكمال بن الأنبارى وقبله :

شرد عن عينى الكرى طيف سرى   من أم عمرو فى غياهب الدجى
زار وسادى والظلام عاكف   وأنجم الليل مديدات الطلا
أهلا بشخص ما رأينا مثله   فى يقظة تزهو لنا طول المدى
إذ نحن نزهو والزمان مولع   بأعين الغيد وأجياد الظبا
نواعس مثل المهى نواهد   خمص البطون عاليات المنتجى
والغانيات لا يردن من بدا   فى عارضيه الشيب لو رام الصبا
لما رأت شيبى عم مفرقى   قالت غبار يا خليلى ما أرى
ولم تزل تمسحه بمرطها   والقلب ما بين إياس ورجا
قلت لها موعظة لعلها   تعى صروف ما رأت قد علا
ويروى : يا ظبية ... ...   رائعة بين الهضيم والحشا

وهى كما ترى فى غاية التكلف والبعد عن أسلوب ابن دريد وفى تخيره للمعانى

إمَّا تَرَىْ رَأْسِيَ حاكَى لَوْنُهُ ... طُرَّةَ صُبْحٍ تحتَ أذيالِ الدُّجى (١)

واشْتَعَلَ المُبْيضُّ في مُسْوَدِّهِ ... مِثْلَ اشْتِعالِ النَّارِ في جَزْلِ الغَضَا (٢)

وانتقائه للألفاظ ، وقد أجمع العلماء على هذا واكتفوا بالبيت الأول مما وضعه ابن الأنبارى وما دفع الكل إلى هذا التعسف إلا طلبهم لمرجع الخطاب فى قوله « ترى » فرأوا أن يبدؤا القصيدة بتشبيب على طريقة العرب فجعلوه مؤنثا ، ولست أدرى أكانوا أبصر بأساليب الكلام من ابن دريد ولم لم يرجعوا الفتاء إلى الدهر الذى يخاطبه ويشكوه فى الأبيات أو يجعلوا الكلام على معنى الاستفهام فيكون أول القصيدة :

أما ترى رأسها حاكى لونه — على معنى يا دهر أو إما ترى بإشباع فتحة الراء أو أما ترى يا دهر .

(١) إما ترى : أصلها إن ترين ، وما زائدة ، وإن حرف شرط ، وفاعل ترى بإسكان الياء المحبوبة أو الدهر مع إشباع فتحة الراء وسيأتى جواب الشرط عند قوله فكل . ولنا أن نجعل أما استفهامية ، والمخاطب الدهر والفاء من فكل عاطفة . بدليل أن ابن دريد لم ينسب ولم يشبب ولم يخاطب محبوبة فى صدر هذه القصيدة وإنما فعل هذا فى مكان آخر منها عند قوله :

ولاعبتنى غادة وهنانة ... تضنى وفى ترشافها برء الضنى

وحاكى : أشبه ، وطرة الصبح يعنى وجهه ، وطرة كل شىء حافته وجانبه ، ومنه طرة الكتاب وهى الحاشية التى لا هدب لها ويقال لها كنفه أيضا . والأذيال : الأطراف واحدها ذيل ومنه ذيل القميص . والدجى : الظلمة جمع دجية من قولهم ليل داج أى مظلم .

(٢) اشتعل : فشا وانتشر ، من قول الله عز وجل (واشتعل الرأس شيبا)

فكان كالليل البهيم حل فى ... أرجائه ضوء صباح فانجلى (١)

وغاض ماء شرتى دهر رمى ... خواطر القلب بتبريح الجوى (٢)

وآض روض اللهو يبسا ذاويا ... من بعد ما قد كان مجاج الثرى (٣)

والمبيض منه الشعر الأشيب ومسوده الشعر الذى بقى أسود على حاله . والجزل : ماغلظ من الحطب ، والغضا : ضرب من الشجر يبقى جمره محرا بعد الاحتراق طويلا واحدته غضاة . قال الشاعر :

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا ... شبوه بين جوانحى وضلوعى

(١) البهيم : الأسود يعنى شعر رأسه أيام الصبا والشباب وليل بهيم لاضوء فيه إلى الصباح . وحل : نزل ، قال الله عزوجل (أو تحل قريبا من دارهم) وأرجاؤه : أطرافه وواحد الأرجاء رجا ، وهى مقصورة مقصورة قال الله عزوجل (والملك على أرجائها) . وأما الرجاء من الأمل فممدود . وانجلى : ذهب وانكشف ، قال الله عز وجل : (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) .

(٢) غاض : نقص ، من قوله تعالى (وغيض الماء) أى نقص يقال غضت الماء فغاض إذا انساب فى الأرض أى غاض وذهب . وقوله : ماء شرتى ، اسم لماء شبابه وقوته والشباب لاماء له ولكنه استعارة ، وأصل الشرة الحدة والنشاط فاستعارها ههنا للشباب . والخواطر : الهمم وهو مايخطر بالقلب من الفكرة وأراد بخواطر القلب الفطنة وحدة الذكاء والتبريح : البلوغ فى المشقة إلى غايتها ، وهو من قولهم برح بى هذا الأمر إذا بلغ به غاية الحزن . والجوى : سقم الجوف من طول المرض ، وقيل تأثير الحزن فى القلب يقال جوى يجوى جوى مثل ضنى يضنى ضنى .

(٣) آض : رجع يقال آض يئيض أيضا ، وروض اللهو : فى هذا الموضع استعارة لأن اللهو لا روض له ، والروض هو المكان المعشب ، وتسميته فى الأرض

وضَرَّمَ النَّأى المُشِتُّ جَذْوَةً ما تأتلى تَسْفَعُ أثناء الحشا (١)

حقيقة وتسميته فى اللهو مجاز ، والروض بهذا اللفظ جمع الواحدة روضة مثل نور ونورة وجوز وجوزة ، ويجمع أيضا على رياض مثل صحفة وصحاف ويجمع أيضاً على روضات مثل بيضة وبيضات ، ويبسا : أى يابسا . وذاويا : ذابلا . والمجاج : الصباب من قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه على قشره الأعلى ومج الرجل الماء إذا ألقاه من فيه ، ومجاج الثرى أيضاً مثله ، وإنما يعنى بهذا القول أيام شبابه شبهها بروضة وماء يقول آضت هذه الروضة أرضاً ميتة لامنفعة فيها . والثرى : التراب الندى مقصور ، وأما الثراء بالمد فمعناه الغنى والسعة .

(١) ضرم : أشعل وأوقد . والنأى : البعد يقال نأى ينأى نأياً إذا بعد ، قال الله عز وجل (أعرض ونأى بجانبه) وقال : (وهم ينهون عنه وينأون عنه)، والمشت : المفرق يقال أشت يشت إذا فرق فهو مشت ، وشت يشت شتاً إذا تفرق هو ، والقوم الأشتات المتفرقون واحدهم شت ، قال الله عز وجل (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) أى متفرقين ، وفى الاثنين شتان مثل الزيدان والجذوة : الجمرة العظيمة ، وقيل الجذوة القطعة تحترق من الخشب فتبقى منها بقية قال الله عز وجل (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) وقوله ماتأتلى : أى ماتقصر وتأتلى وزنه تفتعل من قولهم ما ألوت أفعل كذا أى ماقصرت قال الله عز وجل (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة) أى لايقصر ، وتسفع تحرق وقيل تسفع وتؤثر من قولك سفعته النار إذا أحرقته وتركت فى جسمه آثارا . وأثناء الحشا : يعنى مارق من البطن وتغضن واحدها ثنى وأراد به القلب والجوف وقيل أثناء الحشا نواحيه وجهاته .

وَاتَّخَذَ التَّسهيدُ عَيني مَألَفاً ... لَمَّا جَفا أَجْفانَها طَيفُ الكَرَى (١)

فَكلُّ ما لاقَيْتُهُ مُغْتَفَرٌ ... فى جنبِ ما أَسأَرَهُ شَحْطُ النَّوَى (٢)

لَولا بَسَ الصَّخْرَ الأَصَمَّ بَعْضُ ما ... يَلْقاهُ قَلبى فَضَّ أَصْلادَ الصَّفا (٣)

---

(١) التسهيد : والسهاد السهر وهو فقد النوم . ومألفا : اى صاحبا والمألف هو الموضع الذى تقع فيه الألفة أى الاجتماع والصحبة مثل المحضر والمشهد فأقام المألف هنا مقام الألف . والألف هو الصاحب . والمألف مكان الاجتماع . جفا : أي هجر والجفوة ، والجفاء الهجران ، يقال جفانى فلان إذا هجرنى . والجافى أيضاً فى غير هذا الخشن . والأجفان : أغطية العيون واحدها جفن بمنزلة جفن السيف وهو غمده ، والطيف : مايراه الإنسان من خيال محبوبته . والكرى : النوم

(٢) مغتفر : أى متجاوز عنه متروك ، ومنه قولهم فى الدعاء غفر الله لك معناه تجاوز الله عنك ، وأصل الغفران التغطية ، وسمى مغفر الدرع مغفراً لانه يغطى الرأس فقول الداعى : اللهم اغفر لنا ذنوبنا معناه اللهم غطها واسترها . وأساره : أبقاه والسؤر البقية . وفى الحديث « إذا شربتم فأسئروا » أى أبقوا بقية فى الاناء ، وقوله فكل مالاقيته البيت هو جواب الشرط المتقدم إن جرينا على أن إما شرطية يقول : إن ترى شعرى قد ابيض شيباً وذهبت قوتى ورمانى الدهر بأرزائه وأحداثه الخ ما وصف به حاله فذلك كله مغتفر فى جنب تلك البقية القليلة من القرب أو الأمل ، وإنما يريد بهذا الكلام أن يهون على نفسه زمان شبابه وكبره عند اغترابه .

(٣) لابس : خالط . والاصم : الصلب . وفض : كسر وأصل الفض التفريق قال الله تعالى (وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها) أى تفرقوا . والأصلاد :

إذا ذَوَى الغُصنُ الرَّطيبُ فاعلَمَنْ   أنَّ قُصاراهُ نَفادٌ وتَوَى (١)
شَجِيتُ لا بَلْ أجْرَضَتْنى غُصَّةٌ   عَنُودُها أقْتَلُ لى مِن الشَّجَى (٢)

جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة قال الله عز وجل (فتركه صلدا) . والصفا الصخر الصلاب الواحدة صفاة والمذكر صفوان قال الله تعالى (كمثل صفوان عليه تراب) يقول ، إن بعض الذى يلقاه قلبى تحطم ملابسته الصخر الأصم وتهيله ترابا .

(١) ذوى : جف وذبل ، يقال ذوى يذوى ذويا وفى الحديث « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستاك وهو صائم بعود قد ذوى » والرطيب : الناعم الرطب . وقصاراه : آخر أمره ومنتهاه وغايته . والنفاد : الفناء والذهاب والانقطاع والفراغ ، والتوى : الهلاك . توى كرضى ، هلك . يبكى نفسه لأن حلول الشيب من نذر الهلاك ، يقول إن العود إذا ذبل ، وماء الشباب إذا جف فأيقن بأن عاقبة ذلك الموت والهلاك لامحالة .

(٢) شجيت : أى حزنت ، والشجا الحزن ، ويقال له للشجو شجى يشجى شجا وشجوا ، والغصص : الاختناق . يقال من ذلك شجى يشجى شجا إذا غص . وأجرضتنى : خنقتنى غصة الموت ، والجرض هو الاختناق بالريق ، يقال شجيت بالعظم وغصصت باللقمة ، وشرقت بالماء ، وجرضت بالريق ، وفى المثل حال الجريض دون القريض ، قال أبو على القالى وسألت ابن دريد عن بيت شعر بعد أن فلج بعامين تقريبا فقال « لئن طفئت شحمتا عينى لم تجد من يشفيك من العلم » .

قال أبو على « ثم قال لى : يابنى وكذا قال لى أبو حاتم وقد سألته عن شىء ثم قال لى أبو حاتم وكذلك قال لى الأصمعى وقد سألته عن شىء » .

قال أبو على « وآخر شىء سألته عنه جاوبنى أن قال لى يا بنى حال الجريض .

إنْ يحمِ عن عيني البُكا تجلُّدي ... فالقلبُ موقوفٌ على سُبْلِ البُكا (١)
لوْ كانتِ الأحلامُ ناجتْني بما ... ألقاهُ يقظانَ لأصمانى الرَّدَى (٢)

دون القريض . فكان هذا الكلام آخر ماسمعه » . وعنودها : معارضها وهو ماعاند منها أى ماعارض يراه أشد إيلاما من الغصة .

(١) إن يحم : إن . حرف شرط ، ويحم جزم بالشرط وجوابه الفاء التى فى قوله . فالقلب . يحم : يمنع . والتجلد : التصبر . والسبل : الطرق واحدها سبيل ، وعنى بذلك الهوى الذى يأتى البكاء من أجله وسببه . والبكا يمد ويقصر .

(٢) الأحلام : جمع حلم ، وهو مايراه الإنسان فى منامه قال الله عز وجل (ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين) وناجتنى : أخبرتنى واليقظان : الذى ليس بنائم وجمعه أيقاظ قال الله عز وجل (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) لأصمانى : أى لقتلنى مكانى بلا تأخير ، والإصماء القتل دون تلبث ، والتلبث المكث يقال رمى فلان الصيد فأصماه أى أصاب مقتله قيل أرماه فأشواه ، والشواء إخطاء المقتل قال ابن مقبل :

أرمى النحور بها فأشويها وتنلبنى ... ثم الأناة فأغدو غير منتصر

قال الأصمعى : يقال أشواه إذا لم يصب مقتله ، وشواه بغير ألف إذا أصاب منه المقتل ، والشوى فى غير هذا الموضع اليدان والرجلان ، قال امرؤ القيس :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال

والشوى أيضاً الشىء الهين الحقير ، قال الشاعر :

وكنت إذا الأيام أحدثن هالكا ... أقول شوى مالم يصبن صميمى

مَنزلةٌ مَا خِلْتها يَرْضى بها لنفسِه ذُو أرَبٍ وَلا حِجا (١)
شَيْمُ سحابٍ خُلّبٍ بَارِقُه ومَوْقفٌ بين ارْتِجاءٍ ومُنى (٢)

أى هين ، ويقال : كل ذلك شوى ماسلم دينك أى هين ، مالم يصب دينك لأن المصيبة أعظم ماتكون فى الدين ، وهى فى غير الدين صغيرة ، ومنه قولهم فى الدعاء ، اللهم لاتجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، والشوى أيضاً رذال المال قال الشاعر :

وإنك ماسليت نفساً شحيحة عن المال فى الدنيا بمثل المجاوع
أكلنا الشوى حتى إذا لم ندع شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع

والشوى أيضاً جمع شواة وهى جلدة الرأس قال الله عز وجل (إنها لظى ، نزاعة للشوى) أى لجلود الرءوس . وقال الأعشى :

قالت قتيلة ماله قد جللت شيباً شواته
أم لا أراه كما عهد ت صحاوأقصر عاذلاته

الردى : الهلاك وتصريفه ردى يردى ردى قال الله عز وجل (واتبع هواه فتردى) أى فتهلك . يقول لو أرتنى الأحلام الأمر الذى أريته فى اليقظة لهلكت مما أرى فى المنام . فكيف بى وأنا ألقى ما أجده فى اليقظة .

(١) منزلة : أى درجة وجمعها منازل . ماخلتها : أى ماحسبتها . وذو أرب : أى ذو عقل يقال فلان أريب أى عاقل . والحجى : أيضاً العقل .

(٢) الشيم : النظر إلى البرق خاصة ، إذا نظرت إليه من أى النواحى يأتى . والخلب : البرق يخلب النظر . ولكن لاماء فيه ، والارتجاء : من الترجى ضد اليأس وهو طلب الأمر المتوقع حصوله ، والمنى : جمع أمنية وهى من التمنى ، وهو طلب مافيه عسر ، يقول إن آمالى ضائعة وحالى كمن ينتظر السقيا من

في كلِّ يومٍ منزلٌ مستوبلٌ يشتفُّ ماءَ مهجتي أو مجتوى(١)

ما خلتُ أنَّ الدهرَ يثنيني على
ضرّاءَ لا يرضى بها ضبُّ الكدى(٢)

أرمّقُ العيشَ على برضٍ فإنْ
رُمتُ ارتشافاً رُمتُ صعبَ المنتشى(٣)

السحب المبرقة التي لاماء فيها ، ولكني مع ذلك لا أيأس بل أرجو وآمل حصول أماني .

(١) المنزل : الموضع . والمستوبل : المستثقل . والمجتوى : المستكره . ويشتف : يستقصى ، والاشتفاف : الاستقصاء يقال اشتف فلان ما في الاناء إذا استقصاه . والمهجة : النفس ، وجمعها مهج ، وقيل المهجة دم القلب ، والمجتوى المكروه يقال اجتويت البلاد إذا كرهتها ، وإن كانت موافقة لك ، واستوبلتها إذا لم توافقك وإن كنت غير كاره لها .

(٢) ما خلت : أي ما توهمت ، ويثنيني : يردني ويعطفني ، يقال ثناه يثنيه إذا عطفه والضراء : الصخرة الصماء ، وقيل الضراء : الأرض المشرفة ، والضب مولع بالحفر فيها أبدا ، والضراء : مأخوذة من الضر الذي هو ضد النفع ، وتجمع على ضرورات على غير قياس ، وقال الأخفش لا واحد لها . والضب : واحد الضباب وهي دواب تسكن الأرض الصلبة . والكدى : جمع كدية . وضباب الكد : سميت بذلك . لكثرة حفرها في الأرض .

(٣) الرمق : بقية الحياة ، وعيش رمق يمسك الرمق ، والرمقة ، بضم الراء وككتاب وسحاب وجبل ، البلغة أو قليل يمسك الحياة ، والرمق بضم

أراجعٌ لي الدهرُ حولاً كاملاً ... إلى الذي عوَّد أم لا يرتجى (١)

يادهرُ إن لم تكُ عتبى فاتئد ... فإنَّ إروادك والعتبى سوا (٢)

رفِّه علىَّ طالما أنصبتني ... واستبق بعض ماء غصن ملتحى (٣)

الراء والميم الفقراء المتلغون بالرماق للقليل من العيش ، والترميق : العمل يعمله ولا يحسنه يتبلغ به وهو مرمق العيش . ومرمقه كمعظم إذا كان مضيقا عليه مقترا عليه رزقه . أرمق العيش : أى أسدده وأقطعه عن التعليل واختلف في قول أبي بكر فيه فقال مرة أرمق بكسر الميم وقال مرة أرمق بفتحها فاذا كان أرمق بكسر الميم كان الفعل مبنيا للمعلوم والفاعل أنا ، وإذا كان أرمق بالفتح كان الفعل لغيره على ما لم يسم فاعله فكان التقدير أعطى منه بقدر ما يمسك رمق وهو مقدار القوت .

والبرض : العطاء القليل .وقال بعض اللغويين البرض القليل من الماء .

وقوله فان رمت : أى هممت ، وقيل عالجت . والارتشاف : أن يستقصى شرب ما فى الاناء وهو دون الاشتفاف فى الاشتقصاء والاشتفاف عيب عندهم . والمنتشى : المطلب البعيد .

(١) الحول : السنة ، وراجع : أي مرجع ومعيد يقول : أمرجع لى الدهر من أيامى السالفة الهنية بالنعمة والشباب والقوة حولا واحدا بأكمله يمتعنى به كعادتى أم أن الدهر لا يرتجى منه ذلك .

(٢) العتبى : الرضى وهو الرجوع إلى المراد . فاتئد : أرفق ينال من ذلك اتأد يتئد اتئادا واسم الفاعل متئد . والإرواد : . الرفق والمهل أرود يرود إروادا فهو مرود ، ويقال أرود به أى رفق ومنه قوله عز وجل (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) وسوا : كسواء أى مثل ومستو .

(٣) رفه : أى وسع على ورغد عيشى . وطالما : أى زمنا طويلا .

لا تحسبنْ يا دهرُ أنى ضارعٌ لنكبة تعرُقنى عرقَ المُدَى (١)

مارستَ مَن لو هوتِ الأفلاكُ مِن جوانبِ الجوِّ عليه ما شكا (٢)

وانصبتنى . بالصاد غير المعجمة أتعبتنى من النصب وهو التعب ، ويروى أنضيتنى بالضاد المعجمة وياء تحتية مثناة بعدها ، بمعنى هزلتنى وأضعفتنى ، والضنى الهزال يقال من ذلك ضنى يضنى ضنى إذا ضعف وهزل ، وأضنانى المرض أهزلنى . والملتحى : المقشور . يقال لحوت العود ألحوه لحوا ولحيته أيضا ألحاه لحيا ، واللحا : قشر العود . يقول إنه كغصن ضعيف ذهبت أحداث الزمن بلحاه وقشره

(١) الضارع . الدليل الخاضع . والنكبة : المصيبة والشدة . وتعرقنى : أى تزيل لحمى عن عظمى من قولهم عرقت العظم أعرقه عرقا إذا أكلت ما عليه من اللحم : والمدى : السكاكين واحدتها مدية . يقول إنه مع ما وصلت إليه حالته لا يذل ولا يلين ولا يخضع .

(٢) مارست : التاء مفعول يعنى نفسه وهو من الممارسة وهى المعالجة أى عالجت وقيل خالطت أو قاسيت . وهوت : سقطت ، يقول : لو سقطت عليه الأفلاك بالشدائد والمصائب ما شكا ذلك إلى أحد . والأفلاك : جمع فلك بالتحريك وهو مدار النجوم وفلك كل شىء مستداره ومعظمه ويقول المنجمون إنه سبعة أطواق دون السماء قد ركبت فيها النجوم والكواكب السبعة فى كل طوق منها نجم وبعضها أرفع من بعض تدور فيها . والجو : الهواء الذى بين السماء والأرض ، يقول إنك يادهر فى قسوتك هذه كمن يمارس شخصا قويا شديد الاحتمال صبورا على الشدة لايعبأ بالمصائب تتلوها المصائب ، ولو أن السموات بأفلاكها وأجرامها هبطت عليه وهوت من

لكنّها نَفثةُ مَصدُورٍ إذا   جاشَ لُغامٌ مِنْ نَواحِيها عَما(١)

كل جانب ماشكولا ذل . قال أبو على القالى تلميذ أبى بكر ابن دريدحين عرض لابن دريد فى آخر عمره فالج فسقى الترياق فبرىء منه وصح وعاد كما كان إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ثم بعد حول تناول غذاء ضارا فعاوده الفالج فكان يحرك يديه حركة ضعيفة وبطل من عزمه إلى قدميه فكان إذا دخل عليه داخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل إليه ـ قال أبو على : فكنت أقول فى نفسى إن الله عاقبه بقوله فى المقصورة :

(مارست من لو هوت الأفلاك . . . البيت)

وكان يصيح لذلك صياح من يمشى عليه أو يسل المسال يسمعه الداخل وهو بعيد عنه ، وكان مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما يسمعه ويسأل عنه ردا صحيحا .

أقول : يغفر الله لأبى على فقد أساء الظن بالله وشنع على شيخه وأستاذه بغير حق ، فان بين مرض ابن دريد بالفالج واتصاله بابن ميكال الذين قيلت فيهما المقصورة أكثر من اثنتين وعشرين سنة فقد اتصل بهما قبل سنة ٢٩٧ ﻫ التى صنف فيها الجمهرة للميكالى ومات سنة ٣٢١ ﻫ التى فلج قبلها بعامين ، ومتى كان المرض بالفالج أو بأشد منه بل بالموت انتقاما وعقوبة وماذا كان يرجو أبو على لشيخه وقد علت سنه على التسعين غير أن يموت أم أن صاحب أعرافها لأيدينا مناديل يكبر على شيخه إلا وحد صياحه ويعده شكاية ثم عقابا ؟!

(١) لكنها : الهاء والألف كناية عن هذه القصيدة التى قالها ، والنفثة ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق يقال نفثت الحية تنفث نفثة ونفثا إذا ألقت ريقها وذلك الريق سم قاتل . والمصدور : الذى يشتكى صدره ومنه المثل لابد للمصدور أن ينفث . وجاش : علا وارتفع ، يقال : جاشت اليه نفسه أى ارتفعت وقيل

رَضيتُ قسْراً وعلى القسرِ رضى
من كانَ ذا سخطٍ على صرفِ القضا (١)

إنَّ الجديدَينِ إذا ما استوْليا على جديدٍ أدْنَياهُ للبلى (٢)

جاش اجتمع ، وكذلك جاشت النفس اجتمعت والأول أصح قال الشاعر :

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى تستريحى

واللغام : الزبد وهو ما يلقيه البعير من فيه ، يقال لغم البعير يلغم لغامة إذا رمى باللغام ، الزبد والملغم الفم ، ومنه تلغمت بالطيب إذا جعلته فى ملاغمك والملاغم ما حول الفم ، وهى جمع ملغم ، ويقال لغمت الشىء ألغمه لغما إذا خلطته فالتغم أى اختلط . وقوله من نواحيها : أى من جوانبها . وغماً بالغين المعجمة سقط يقال غما البعير الزبد إذا رماه بنفض رأسه ومشفره يتناثر من فيه ، ويقال إن غما معناه غطا من قولهم غميت الاناء إذا غطيته .

(١) القسر : القهر على المكروه يقال قسره على كذا أى قهره عليه ، والسخط الغضب ، يقول : إننى رضيت مرغما لأن من يرض بالقضاء وسخطه رضى به مكرها إلزاما وإلجاء لأنه لا سبيل له إلى غير ذلك .

(٢) الجديدان : الليل والنهار ، وكذا الأجدان ، والعصران ، والملوان ، قال الشاعر :

ألا يا ديار الحى بالسبعان أمل عليها بالبلى الملوان

السبعان بضم الباء موضع ببلاد قيس

والأسودان التمر والماء . والأسودان ايضا الليل والحرة . والأبيضان اللبن والماء والخبز والماء أيضا قال الشاعر :

الأبيضان أبردا عظامى الماء والخبز بلا إدام

والأصفران : الذهب والزعفران والأحمران : اللحم والخمر . والأطيبان : النوم والنكاح ، والصحة والشباب ، والأعذبان : الريق والخمر . والحجران : الذهب والفضة والأزهران : الشمس والقمر . والقمران أيضا : الشمس والقمر . والخافقان : المشرق والمغرب . والثقلان : الانس والجن . ومثل هذا كثير ، ولابن جنى كتاب اسمه جنى الجنتين فى معرفة المثنيين (نشرته مكتبة القدسى) ومذهب العرب فى هذا الضرب من الكلام إذا كان الشيئان يتواخيان ينسب الأنكر منهما إلى الأشهر كقولهم العمران فى أبى بكر وعمر فنسبوا أبا بكر إلى عمر لأنه أقام فى الناس أكثر من أبى بكر يعنى أن مدة خلافته دامت أكثر مما دامت خلافة أبى بكر لأن أبا بكر كانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسع ليال وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال ـ فلذلك صار عمر أشهر من أبى بكر ، وقال بعض النحويين . إنما يغلب هنا الأخف على الأثقل كقولهم القمران للشمس والقمر فغلبوا القمر لأنه مذكر والمذكر أخف من المؤنث كما أن المفرد أخف من المضاف ، ولهذا غلبوا عمر على أبى بكر لأن عمر غير مضاف وأبو بكر اسم مضاف ويستثقل أن يقال الأبا بكران واستوليا : يعنى غلبا وملكا ، ويجوز أن يكون استوليا تبعا ولزوما من قولهم ولى فلان عمله إذا تبعه ولزمه ، وأتى على بناء استفعل وأدنياه : قرباه . والبلى : الإخلاق ، يقال : ثوب بال وخلق ودارس ، والبلا يمد ويقصر فاذا كسرت أوله قصرته كما قال الشاعر :

ألا ، ياديار الحى بالسبعان ... أمل عليها بالبلى الملوان

وإذا فتحت أوله مددته كما قال الآخر :

والمرء يبليه بلاء السربال ... مر الليالى وانتقال الحال

والملوان الليل النهار أوطرفاها وهوهنا يعزى نفسه ويسليها بأنه مغلوب مقهور وأن كر العصور يبلى الأجسام ويذهب وجدتها . ومعناه كالبيت قبله :

إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن ... أن قصاراه نفاد وتوى

مَا كُنْتُ أَدْرِي وَالزَّمَانُ مُولَعٌ ... بِشَتِّ مَلْمُومٍ وَتَنْكِيثِ قُوَى(١)

أَنَّ الْقَضَاءَ قَاذِفِي فِي هُوَّةٍ ... لَا تَسْتَبِلُّ نَفْسُ مَنْ فِيهَا هَوَى(٢)

(١) ما كنت أدرى : أى ما كنت أعلم ثم حال بين أدرى ، وماعملت فيه بحشو هذا البيت وجاء بالمعمول فيه فى البيت الذى بعده وهو قوله أن القضاء الخ . وأن إذا وقعت فى باب الظن كفت من المفعولين تقول : ما ظننت زيدا عاقلا وما ظننت أن زيدا عاقل ، فزيد فى المسألة الأولى مفعول أول لظن وعاقلا مفعول ثان ، وفى المسألة الثانية كفت أن من المفعولين ، وعاقل خبر أن . وقوله والزمان مولع : أى ملازم ومغرى به يقال أولعت بكذا إذا لزمته والشت . التشتيت والتفريق . والملموم : المجموع من قولهم لمه يلمه إذا جمعه . والتنكيث : النقض مأخوذ من قولهم نكث العهد إذا نقضه . والقوى . جمع قوة وهى إحدى قوى العهد أى طاقاته ومن هذا أخذت القوة يصف الدهر وأحداثه وأنها غرام وولع بتفريق المجتمع وتشتيته وإضعاف القوة ووهنها

(٢) القضاء . الحكم ، والمراد به أحكام الله سبحانه وتعالى على عباده بالغير والأحداث كأن النعمة الضافية التى كان فيها قد ألهته وصرفته عن التفكير فى زوالها أو تغيرها . وقاذفى : القاذف الرامى ، يقذفه فى بئر إذا رماه فيها ، والهوة : الحفرة يتسع أسفلها ويضيق أعلاها . وقوله لا تستبل : أى لا تبرأ ولا تفيق ، يقال بل من مرضه وأبل واستبل إذا برىء . وهوى : سقط من فوق إلى أسفل يقال هوى يهوى هويا قال الشاعر :

فشج بها الأماعز فهى تهوى ... هوى الدلو أسلمها الرشاء

يقول : ما كنت أدرى أن عاقبة أمرى وحالى ستبلغنى إلى ما أرى ، وترمينى فى هوة سحيقة لا نجاة لمن وقع فيها ولا خلاص مع أن ذلك طبيعة فى الزمان فما كان ينبغى لى أن أجهل ذلك وأصرف عنه ولا أعمل له حسابا

فإن عثرتُ بعدها إنْ وألت نفسى من هاتا فقولا لا لَعَا(١)

وإنْ تكنْ مدّتُها موصولةً بالحتفِ سلّطتُ الأُسَى على الأَسَى(١)

---

(١) العثر : الزلل . ومعنى وألت : نجت وخلصت : يقال وأل فلان من كذا يئل وألا إذا خلص منه ونجا ، والموئل مفعل وهو الملجأ . يقال هذا موئل فلان أى ملجؤه ومفزعه الذى يفزع إليه أى يلجأ إليه قال الله جل ذكره : (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا) أى ملجأ ومفزعا . وأما آل فلان إلى كذا بالمد فمعناه رجع . يقال آل الأمر إلى كذا يؤول أولا مثل قال يقول قولا وقوله هاتا : إشارة إلى مؤنث بمنزلة هذا للمذكر لأنه عائد على العثرة المضمرة التى دل عليها قوله : وإن عثرت وتقديره إن عثرت عثرة بعدها ثم وألت نفسى من هذه العثرة ، وإن شئت كان الضمير عائدا على الهوة فى البيت الذى قبل هذا . والهوة : الحفرة وجمعها هوى . وهاتا بمعنى هذه تقول العرب هاتا فعلت كذا وللمذكر هذا فعل كذا . وقوله لالعا : أى لا نجاة ولا خلاص ولعا دعاء للعاثر بالسلامة إذا جئت به دون لا فان أتيت معه بلا فمعناه لا سلامة ، يقول : أما وقد علمت الزمان وبلوت الدهر أبا الأعاجيب فاننى إن أنج من هذه العثرة فلأكونن حذرا فان عثرت ياصاحبى مرة أخرى فقولا لى لا نجوت أبدا .

(١) إن تكن مدتها : الهاء فى مدتها عائدة على النكبة . والحتف : الموت وجمعه حتوف : والأسى : بضم الهمزة جمع أسوة أى تعزية . قال الشاعر :

ولقد علمت وإن ضربت لى الأسى أن الرزينة يوم قتل دؤاد

أى التعزى . والأسى بفتح الهمزة أى الحزن .

يقول : إن لم يكتب الله لى سلامة من هذه العثرة ، واتصلت بموتى فسأتعزى

إنَّ امرأَ القَيسِ جَرَى إلى مَدى . فاعْتاقهُ حِمامُهُ دُونَ المَدا(١)

عن حزنى ومصائبى بما أصاب الناس قبلى من ضروب البلاء والمحن .
وكأنه رحمه الله ماكان يرجو فرجا فعمد إلى ذكر جماعة من المشهورين عدا عليهم الدهر وحال دون بلوغ أمانيهم واتصلت مصيبتهم كما يقول بحتفهم .

(١) إن امرأ القيس جرى إلى مدى : أى إلى غاية ، واعتاقه حمامه : أى منعه يقال اعتاقه وعاقه بمعنى واحد . والحمام بالكسر : الموت مأخوذ من قولهم حم الأمر أى قرب

وامرؤ القيس : اسمه حندج بن حجر بن عمرو المقصور وسمى بذلك لأنه اقتصر على ملك أبيه ابن حجر الأكبر وهو آكل المرار بن عمرو بن معاوية ابن كندة ، والحندج فى اللغة : رملة طيبة تنبت ألوانا من الزهر ، وأمه فاطمة وقيل تملك بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب ومهلهل . وكنية امرىء القيس أبو وهب وأبو الحرث ويلقب ذا القروح لقوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة . لعل منايانا تحولت أبؤسا

ويقال له الملك الضليل ، ومعنى امرىء القيس رجل الشدة ، والقيس فى اللغة الشدة ، وقيل القيس اسم صنم ولهذا كان الأصمعى يكره أن يروى قوله يا امرأ القيس فانزل . وكان يرويه يا امرأ الله ، وهو الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه (أشعرهم قائدهم إلى النار) يعنى شعراء الجاهلية والمشركين . ويروى (يتدهده فى النار) قال دعبل لا يقود قوما إلا أميرهم . وقال عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب وقد سأله عن الشعراء : أشعرهم امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر .

خسف : هو من الخسيف وهى البئر التى حفرت فى حجارة تخرج منها ماء كثير وجمعها خسف . وافتقر هو من الفقير وهو فم القناة . عن معان عور يريد

أن امرأ القيس من اليمن . واليمن لم تكن لهم فصاحة نزار فجعل لهم معانى عورا فتح منها امرؤ القيس أصح بصر .

قالوا وامرؤ القيس يمانى النسب إلا أن داره ونشأته فى نزار , وهو أول من لطف المعانى ، واستوقف على الطول ، وشبه النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مآخذ الكلام وقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه .

وكان من حديثه : أن أباه طرده لما قال الشعر يشبب بامرأة أبيه وهى أم الحويرث التى كان امرؤ القيس يذكرها فى شعره فكان يتنقل فى أحياء العرب ويستتبع الصعاليك والذؤبان منهم ويغير بهم على القبائل ، وكان أبوه ملك بنى أسد فعسفهم عسفا شديدا فتمالؤا على قتله فقتلوه فلما بلغ امرؤ القيس مقتله وهو يشرب الخمر قال ضيعنى صغيرا وحملنى ثقل الثأر كبيرا . اليوم خمر وغداً أمر ، فأرسلت مثلا . ثم جمع جمعا من بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب فخرج بهم يريد بنى أسد فخبرهم كاهنهم بخروجه إليهم فارتحلوا وبينهم امرؤ القيس فوقع ببنى كنانة فقتلهم قتلا ذريعا ، وأقبل أصحابه يقولون يا لثارات الهمام ، يا لثارات الهمام ، فقالت عجوز منهم واللات أيها الملك ما نحن بثأرك وإنما ثأرك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع عنهم القتل وأنشأ يقول :

ألا يالهف قلبى من أناس   هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببنى على   وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا   ولو أدركته صفر الوطاب

قوله ببنى على : يريد بنى كنانة . نسبوا إلى على بن مسعود الغسانى وكان تزوج أمهم بعد أبيهم وربوا فى حجره فنسبوا إليه . ثم إن أصحاب امرىء القيس اختلفوا وقالوا وقعت بقوم براء وظلمتهم فخرج إلى اليمن إلى بعض مقاولة حمير وكان اسمه قرمل فاستجاشه فثبطه قرمل فذلك حيث يقول:

وكنا أناسا قبل غزوة قرمل　　ورثنا الغنى والمجد أكبر اكبرا

ثم توجه إلى قيصر ملك الروم ، وجعل طريقه على تيماء — حصن للسموأل ابن عاديا — فأودعه درعاً وسلاحا وكان قد مشى معه صاحب يقال له عمرو ابن قميئة الشاعر . فلما رأى عمرو بن قميئة الدرب — وهو حاجز بين بلاد العرب وبلاد العجم — بكى جزعا لفراقه بلاد العرب ودخول بلاد العجم ففى ذلك قال امرؤ القيس .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه　　وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما　　نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

ثم سار حتى وصل إلى قيصر فى ملكه . فاستأذن عليه فأذن له . فلما دخل عليه قرب مجلسه وأدنى مكانه ، واتخذه نديما وجمله وخلع عليه وأحسن إليه ثم استعان به فوعده أن يرفده بجيش ، وكان امرؤ القيس جميل الوجه وكان لقيصر ابنة حسنة جميلة فأشرفت يوما من قصر لها فرآها امرؤ القيس فى دخوله إلى أبيها فتعلق بقلبه حبها وراسلها فأرسلت إليه فسار إليها فطرقها ليلا فذلك حيث يقول .

فقلت يمين الله أبرح قاعدا　　ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وقيل إن أباها زوجه إياها وكان سبقه إلى قيصر رجل من أعدائه من بنى أسد يقال له الطماح فوشى به إلى قيصر فتذمم أن يقتله ، فوجه معه جيشا ثم أتبعه رجلا ومعه حلة مسمومة ، وقال له اقرأ عليه السلام وقل له ان الملك قد بعث إليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها وأدخله الحمام فإذا خرج ألبسه إياها فلما لبسها نفط بدنه فكان يحمل فى محفة فذلك حيث يقول :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه　　ليلبسنى من دائه ما تلبسا
وبدلت قرحا داميا بعد صحة　　لعل منايانا تحولن أبؤسا

وخامَرَتْ نَفسُ أبي الجَبْرِ الجَوَى

حتى حَواهُ الحَتْفُ فيمَنْ قدْ حَوَى(١)

ثم نزل إلى جانب جبل وإلى جانبه قبر لابنة بعض ملوك الروم وكان اسم ذلك الجبل عسيبا فأنشأ يقول :

أجارتنا ان الخطوب تنوب — وإنى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا أنا غريبان ههنا — وكل غريب للغريب نسيب
فإن تصليني تسعدى بمودتى — وإن تقطعيني فالمزار عصيب
أجارتنا ما فات ليس يؤوب — وما هو آت فى الزمان قريب
وليس غريبا من تناءت دياره — ولكن من وارى التراب غريب

فلما أيقن بالموت قال :

رب طعنة مسحنفره — وجفنة مثعنجره
قد غودرت بأنقره

المثعنجره : السائلة المنتصبة . والمسحنفرة . الماضية . وأنقرة . بلد بالترك يرثى بهذا نفسه يقول : كم من خصلة جليلة تجمعت قد تركت فى هذا الموضع الذى دفن فيه . فتضمنها قبره ، وأسلمته أحبته ثم مات فهناك قبره وهذه للقصة لاتخلو من انتحال . وابن دريد يتأسى بامرىء القيس ، ويقول : إنه وهو سليل الملوك العظماء رام أن يدرك مراما وقصدا ويثأر لأبيه ويرث ملكه فحالت الأقدار دون بلوغ مارامه وعاقته المنية عن نيل مآربه .

(١) خامرت : خالطت ، ومنه سميت الخمرة لمخالطتها العقل وتغطيتها عليه . والجوى . مقصور مفتوح داء فى الجوف . وقيل الجوى . تأثير الحزن فى الجوف ، يقال من ذلك جوى يجوى جوى ، والجواء مكسور وممدود . اسم أرض ، قال الشاعر :

عفا من آل فاطمة الجواء — فيمن فالقوادم فالحساء

وابنُ الأشجِّ القيْلُ ساقَ نفسَهُ إلى الرَّدَى حِذارَ إشماتِ العِدى (١)

ويقال الجواء هنا : جمع جو وهو البطن من الأرض . وقوله حواه : أى حازه . والحتف . الموت وجمعه حتوف

وأبو الجبر : هو ابن عمرو الكندى من ملوكهم ، خرج إلى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه جيشا من الأساورة ، فلما صاروا بكاظمة نظروا إلى وحشة بلاد العرب فقالوا أين نذهب مع هذا فعمدوا إلى سم فدفعوه إلى طباخه ووعدوه بالإحسان إليه وأمروه أن يلقيه فى أحب الألوان إليه وأكرمها عليه ففعل فلما استقر فى جوفه اشتد وجعه فدخلوا عليه وقالوا قد بلغت إلى هذه الحال فاكتب لنا إلى الملك أنك قد أذنت لنا ، فلما كتب لهم ورجعوا خف ما به فرحل إلى الطائف إلى الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب فداواه فبرىء ، فأهدى إليه سمية وهى أم زياد وعبيد وهو الذى كان زياد ينسب إليه أولا : وارتحل يريد اليمن فانتقضت علته فمات فى الطريق فقالت عمته كبشة ترثيه .

ليت شعرى وقد شعرت أبا الجبـ	ـر بما قد لقيت فى الترحال
أتمطت بك الركاب أبيت اللـ	ـعن حتى حللت بالأقتال
أشجاع فأنت أشجع من ليـ	ـث هموس السرى أبى الأشبال
أجواد فأنت جود من سيـ	ـل تداعى من مسبل هطال
أكريم فأنت أكرم من ضمـ	ـت حصان ومن مشى فى النعال
أنت خير من ألف ألف من القـ	ـوم إذا ما اكفهرت وجوه الرجال

تمطت فى السير : امتدت ، والأقتال: الأعداء ، والهموس : الخفى الوطء .

(١) العدى : والعدا ، والعداة ، والأعداء واحد ، والعدى أيضا مكسور مقصور الغرباء ويكتب بالياء قال الشاعر :

إذا كنت فى قوم عدى لست منهم فكل ماعلفت من خبيث وطيب

وأما العدا بالكسر والمد : فالموالاة بين الشيئين ، وهى المتابعة ، قال الشاعر

فعادى عداء بين ثيس ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

والقيل : الملك دون الملك الأعظم أو من ملوك حمير وجمعه أقيال ومقاولة ومقاولات وأقوال . وساق نفسه إلى الردى : أى الهلاك يقال من ذلك ردى يردى ردى إذا هلك قال الله تعالى (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) . وإشمات العدى : تشفيهم وفرحهم بما يغيظه ويؤلمه . وهو وإن كان قتل نفسه فقد أشمتهم فيه ، ولكن حسبه أن لم يمكنهم من التنكيل به وتعذيبه لو وقع فى أيدى أعدائه .

وكان من حديث عبد الرحمن بن الأشعث أن الحجاج استعمله على سجستان وما اتصل بها لحارب من هناك من أمم الترك والهند ثم خلع طاعة الحجاج وسار إلى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد لطاعته أهل الرى والجبال مما يلى الكوفة والبصرة واتبعه قراء العراق وعلماؤهم كسعيد بن جبير والشعبى فسار الحجاج لقتاله فكانت بينهما حروب عظيمة وكتب عبد الملك إلى الحجاج يقول: لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين وإنى لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك على يدى أمير المؤمنين وما حاله عندى فى خلع الطاعة إلا كقول الشاعر:

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر
أظن خطوب الدهر بينى وبينهم ستحملهم منى على مركب وعر

ودخل ابن الأشعث الكوفة وكتب الحجاج إلى عبد الملك يذكر كثرة جيوش ابن الأشعث ويستنجده ويسأله الإمداد . ويقول فى كتابه : واغوثاه واغوثاه واغوثاه . فأمده عبد الملك بالجيوش وكتب إليه يا لبيك يا لبيك يا لبيك . وكانت بين ابن الأشعث والحجاج نيف وثمانون وقعة فنى منها عدد من الخلق : وكان ذلك فى سنة ٨٢ ﻫ ، فكانت على ابن الأشعث فمضى إلى ملوك الهند واحتال الحجاج وبذل الأموال العظيمة حتى وجه به للحجاج أحد ملوكها فلما سارت رسل الحجاج به باتوا على سطح مرتفع وكان قد قرن إلى رجل من بنى تميم بسلسلة فى أيديهما وكان التميمى معه أسيرا ، فلما كان جنح الليل قال للتميمى

قم معي لأبول . فلما قام معه أشرف من السطح ولف عليه ثوبه وجمع ثيابه فقال له التميمي : ما تصنع أيها الأمير قال الساعة أعلمك . ثم رمى بنفسه فوقع هو والتميمي فماتا جميعا ، وحمل رأسه إلى الحجاج . فوجه الحجاج برأسه إلى عبد الملك مع عرار بن عمرو بن شاس الأسدى

وروى أن صاحب اليمن كتب إلى عبد الملك إنى قد وجهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لم ير مثلها فلما دخل بها رآى وجها جميلا وخلقا نبيلا فألقى إليها قضيبا كان فى يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الاذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فأعطاه كتاب عبد الرحمن :

سائل مجاور جرم هل جنيت لها ... حربا تزيل بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب ... جم الصوارم بين الجم والفرط
وهل تركت نساء الحى ضاحية ... فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحته : وآلنمر من ولد الأراقم ماجد ... صلت الجبين معاود الأقدام
خلع الملوك وصار تحت لوائه ... شجر العرى وعراعر الأقوام

فكتب عبد الملك إلى الحجاج : يكفيك ما أوصى به البكرى أخاه زيداً ، وجعل فى طيه جوابا لابن الأشعث فيه:

ما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظا وينوى من سفاهته كسرى
أظن خطوب الدهر بينى وبينه ... ستحملهم منى على مركب وعر
وإنى وإياهم كمن نبه القطا ... ولو لم تنبه باتت الطير لاتسرى
أناة وحلماً وانتظاراً بهم غدا ... فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

وبات عبد الملك يقلب كف الجارية ويقول ما أفدت فائدة أحب إلى منك فتقول ما بالك يا أمير المؤمنين وما يمنعك ؟ فيقول ما قاله الأخطل لأنى إن خرجت منه كنت ألأم العرب:

واخْتَرَمَ الوضّاحَ مِنْ دُونِ التى أمَّلها سَيفُ الحِمام المُنْتَضى (١)

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فما إليك من سبيل أو يحكم الله بيني وبين عدوى ابن الأشعث فلم يقربها حتى قتل ابن الأشعث

الجم والفرط : موضعان ، ويستوقدون بالغبط : مراكب النساء ولليأس من الرحيل أحرقن مراكبهن أو لخوفهن من الاحتطاب أحرقنها .

والشعر الذى تمثل به عبد الرحمن خلع الملوك المهلهل ، ويروى قتل الملوك أما البكرى فهو موسى بن جابر الحنفى ، ويقال إن الحجاج لم يدر ما عناه عبد الملك فنادى مناديه من يعرف ما أوصى به البكرى أخاه زيدا قضيت حوائجه ، فقال أعرابى بيابه أنا أعرف ذلك فأدخل على الحجاج فأنشده :

فقلت لزيد لاتثرثر فإنهم يرون المنايا دون قتلك أو قتلى

فان وضعوا حربا فضعها وإن أبوا فشب وقود النار بالحطب الجزل

فان رفعوا الحرب العوان التى ترى فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلى

فقال الحجاج . وأبيك إنها لهى .

فهذا معنى قوله ساق نفسه إلى الردى . حذار إشمات العدى

(١) الاخترام . الهلاك يقال اخترمته المنية أخذته والقوم استأصلتهم اقتطعتهم والخرم النقص ، ومنه الخرم فى الشعر وهو ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعلن . والحمام . الموت . والمنتضى . المسلول من قولهم. انتضيت السيف انتضيه انتضاء إذا أخرجته من غمده ، واسم الفاعل منتض ، واسم المفعول منتضى ، ويقال سيف منتضى أى مجرد .

وكان من حديث الوضاح واسمه جذيمة الأبرش وهو ابن مالك بن فهم ابن الأسد ابن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب

ابن قحطان ، وقال السائب بن الكلبي . إن جذيمة من العرب الأولى من بني إياد بن أيم وكان في أيام الطوائف ، وقال أبو عبيد . كان جذيمة بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان قد ملك شاطىء الفرات إلى ماوراء ذلك إلى السواد ستين سنة وكان يكنى بأبي مالك . وكان الملك قبل جذيمة أباه وهو أول من ملك الحيرة كان أبرص . فهابت العرب أن تقول أبرص فقالت الأبرش والوضاح ، وقيل سمي الأبرش لأنه أصابه حرق نار فبقي أثره نقطا سوداء حمراء وقصير هو ابن سعد اللخمي وكان من حديثهما أن جذيمة وكان في أيام ملوك الطوائف قد ملك شطي الفرات إلى صراة وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على ملكها ، وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم .

وكانت الزباء ملكة أديبة عاقلة فبعثت إليه تخطبه على نفسها ليتصل ملكها بملكه . فدعته نفسه إلى ذلك فشاور وزراءه في ذلك فكلهم أشار عليه أن يفعل إلا قصير بن سعد فانه قال . أيها الملك لا تفعل فان هذا خديعة ومكر . فعصاه وأجابها إلى ذلك فقال قصير عند ذلك . — لا يطاع لقصير أمر وقيل رأى ، فأخرجها مثلا . ثم كتبت إليه بعد ذلك أن سر إلى ، فجمع أصحابه ببقة وهي قرية على الفرات ، وشاور وزراءه فأشاروا عليه بالخروج إلا قصيرا فقال . أيها الملك أما إذ عصيتني فاذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فان ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني . وإن رأيتهم إذا حيوك طافوا بك فاني معرض لك العصا - وهي فرس لجذيمة لا تدرك - فاركبها وانج بنفسك . فلما أقبل جيشها حيوه وطافوا به فقرب إليه قصير العصا فشغل عنها فركبها قصير وأخذ جذيمة فنظر إلى قصير على العصا ، وقد حال السراب دونه . فقال . — ماضل من تجري به العصا — فأخرجها مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت وفرت شعر عانتها حولا . فلما دخل انكشفت له ، وقالت

فَقَدْ سَما قَبْلِى يَزِيدُ طالِبًا ... شَأْوَ العُلا فَما وَهى ولاَ وَنَى (١)

أمتاع عروس ترى ياجذيمة ؟ قال بل متاع أمة بظراء قالت أما إنه ليس من عوز المواسى، ولا قلة الأواسى، ولكنها شيمة من أناسى ! وأمرت به فأجلس على نطع وجيء بطست من ذهب فقطعت راهشيه ، وفى ذلك قال الشاعر :

وقدمت الأديم لراهشيه ... وألفى قوله كذبا ومينا

وكان قد قيل لها احتفظى بدمه ، فانه إذا أصابت الأرض منه قطرة أخذ بثاره فقطرت قطرة من دمه على الأرض . فقالت : لاتضيعوا الملك . فقال جذيمة : دعوا دما ضيعه أهله فأرسلها مثلا ومات . وقيل إنه هو الذى بعث إليها يخطبها ، فكتبت إليه إنى فاعلة ومثلك يرغب فيه فاذا شئت فاشخص إلى فجمع عند ذلك جذيمة وزراءه واستشارهم كما تقدم .

(١) سما : علا . والشأو : الغاية ، وقيل الشأو : البعد ، والشأو : طلق الفرس يقال جرى الفرس شأوا أو شأوين . والعلا : الشرف . وما وهى : أى ماضعف ، وقيل وهى : انصدع . يقال وهى يهى وهيا ، وأصل الوهى الشق ، قال الله عز وجل (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) ولا ونى : أى ولا فتر . قال الله عز وجل (ولا تنيا فى ذكرى) أى ولا تفترا ، وتصريفه ونى ينى ونيا واسم الفاعل : وان ، يقول إن لى بيزيد وهو ابن المهلب أسوة فقد سمت همته إلى طلب الخلافة وانتزاعها من بنى أمية ولم تضعف عزيمته ولم تهن قوته حتى كاد أن يتم له ذلك وينال الخلافة .

وكان من حديث يزيد بن المهلب بن أبى صفرة أنه خرج على بنى أمية وخطب له بالبصرة وسلبت عليه جارية من جواريه بالخلافة والعباس بن الوليد ابن عبد الملك بإزائه فقال لها :

فاعترضت دون الذى رام وقد   جد به الجد اللهيم الأربى (١)
هل أنا بدع من عرانين علا   جار عليهم صرف دهر واعتدى (٢)

رويدك حتى تنظرى عم تنجلى   غيابه هذا العارض المتألق

فدست إليه بنو أمية رجلا من كلب يقال له الفحل أو ابن الفحل وكان ذا بأس شديد وإقدام فقتله فى بعض خلواته ، فقال شاعر من كلب فى ذلك

قتلنا يزيد بن المهلب بعد ما   تمنيتم أن يغلب الحق باطله
وما كان فى أهل العراق منافق   عن الدين إلا من قضاعة قاتله

ثم صفا الأمر لبنى أمية .

(١) فاعترضت . أى بدت ، وقيل معناه عارضت وفيه تقديم وتأخير . أى فاعترضت اللهيم الأربى دون الذى رام . ومعنى رام . طلب . وجد . حث وأسرع . وجد . اجتهد . وجد أيضا فى غير هذا الموضع . قطع . واللهيم الأربى . اسمان من أسماء الداهية وأصل الداهية الشدة . ويقال لها أم اللئيم . والجد . العزم . والجد أيضا . الحق يقول . إن الدواهى والبلايا اعترضت يزيد وحالت دون الوصول إلى ما تمناه رغم جده واجتهاده ومواتاة الحظ له أول الأمر فلى فيه أسوة أو عزاء لما أصابنى .

(٢) البدع . الذى يكون أولا فى كل أمر قال الله عز وجل (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى لست بأول مرسل . والعرانين . الأشراف واحدهم عرنين والعرنين . الأنف وإنما سمى الشريف عرنينا لأنه كالعرنين فى الوجة وهو أرفع ما يكون . وجار عدل . عن الحق أى مال عنه . وصروف الدهر . احداثه ونوائبه واعتدى . من العدوان ظلم . يقول لست نمطا من الناس وحدى ولا أمة ولا بدعة حتى أنجو من صروف الاقدار التى تعرض لها أشرف الناس ومال عليهم الزمن بعادياته .

فإنْ أنالَتْنى المَقادِيرُ الّذى ‍ ‍ ‍ ‍ أكيدُهُ لمْ آلُ فى رَأبِ الثّأى (١)

وقَدْ سَما عَمرٌو إلى أوْتَارِهِ ‍ ‍ ‍ ‍ فاحتَطَّ مِنْها كلَّ عالى المُسْتَمى (٢)

فاسْتَنزَلَ الزَّبَّاءَ قَسْراً وهىَ مِن ‍ ‍ ‍ ‍ عُقابِ لوحِ الجوِّ أعلى مُنْتَمَى (٣)

---

(١) فان أنالتنى: أى أعطتنى،والمقادير : جمع مقدرا وهو القدر ،أوركيده أطلبه واحتال عليه . لم آل : لم أقصر . رأب : اصلاح من قولهم رأبت الشىء أرأبه رأبا . والثأى : الفساد ، ومعناه لم أقصر فى إصلاح مافسد من حالى إذا قدرلى بلوغ ما أرجوه . واحتال له وهكذا الانسان ،ولع أبدا بالآمال .

(٢) سما : علا . والأوتار : جمع وتروهوطلب الدم واحتط منها : أى أنزل. والمستمى : المكان العالى المرتفع وهو مفتعل من سما إذا ارتفع وزيدت التاء فيه لبناء افتعل كما زيدت فى استجاب يقول . إن عمرو بن عدى اللخمى نال أمانيه وأدرك ثأ ه من الزباء واستنزلها من مقاقلها المنيعة .

(٣) الزباء : اسم ملكة تدمر . والقسر بالسين القهر والغلبة : والعقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان واللوح الهواء الذى بين السماء والأرض. واللوح أيضا العطش بضم اللام فيهما . والجو أيضا ما بين السماء والأرض ومنتمى : أى موضع مرتفع اليه . وهو مفتعل لأنه اسم مفعول من نميت الشىء إذا فعته واسم الفاعل منتم ، وفى هذا البيت تقديم وتأخير تقديره فاستنزل الزباء قسرا وهى أعلى منتمى من عقاب لوح الجو أى فى منعتها أكثر امتناعا من العقاب الذى فى الجو .

وأما عمرو فهو ابن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث وكان ابن أخت جذيمة الأبرش وكان من حديثه أن الزباء لما قتلت خاله جذيمة كما أسلفنا ونجا قصير بن سعد القضاعى على العصا سار إلى عمرو وقال : ألا تطلب بثأر خالك . قال

وكيف أقدر على الزباء وهى أمنع من عقاب الجو فأرسلها مثلا . فقال له قصير اجدع أنفى وأذنى واضرب ظهرى حتى تؤثر فيه ودعنى وإياها فألحق بها وأقول قد فعل بى عمرو ما ترين من أجل انه اتهمنى فى أمر حاله ففعل به ذلك فلما سار اليها ورأت ما به قالت : لأمر ما جدع قصير أنفه ، فأرسلها مثلا ثم أخبرها بذلك وقال لها قد لقيت هذا من أجلك. فقالت وكيف كان ذلك ؟ قال زعم أنى أشرت على خاله بالخروج اليك حتى فعلت به ما فعلت ، فوعدته من نفسها بالاحسان فأحسن خدمتها وأظهر النصيحة لها حتى حسنت منزلته عندها ، وزين لها التجارة والأسفار فبعثت معه مالا وإبلا إلى العراق فسار قصير لعمرو مستخفيا فأخذ منه مالا وزاده على مالها فاشترى طرائف من طرائف أهل العراق ورجع اليها فأراها تلك الأرباح فسرت ثم كر كرة فأضعف لها المال حتى عجبت من فعله وازدادت به غبطة وسرورا . فلما كان فى المرة الثالثة اتخذ جوالق كجوالق المال وجعل ربطها من أسافلها إلى داخل وأدخل فى كل جوالق رجلا بسلاحه وأقبل اليها وأخذ غير الطريق فكان يسير الليل ويكمن النهار وأخذ عمراً معه وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا وكانت قد اتخذت نفقا أجرت إليه الماء من قصرها إلى قصر أختها زنيبة (مصغر زينب) وكان قد بعد عنها خبر قصير فسألت عنه فقيل لها أخذ الغوير وهو موضع فقالت:عسى الغوير أبؤسا فأرسلتها مثلا قال ابن الكلبى والغوير ماء لبنى كلب ودخل قصير على الزباء وقد تقدم العير فقال لها قنى فانظرى إلى العير فرقيت سطحا لها فجعلت تنظر إلى العير مقبلة تحمل الرجال تمشى قليلا قليلا فأنكرت ذلك المشى وقالت :

مالجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا

ويروى : بل الرجال قبضا قعودا ، فانتهوا إلى حصنها ، وقد أظلم الليل وشغلت بشيء ولم ترتب حاجبا على الباب ، وكان عمرو قد وصف له قصير باب النفق ووصف له الزباء فلما دخلت العير المدينة ، وعلى البواب البوابون من النبط ومنهم

وَسَيفٌ اسْتَعْلَتْ بِهِ هِمَّتُهُ حتى رَمَى أَبْعَدَ شَأْوِ المُرْتَمَى (١)

واحد فى يده مخصرة ، وهو سفود ، قطع جوالقامنها بالمخصرة فأصابت رجلا فضرط فصار البواب بالنبطية بشتا بشتا ، وتفسيره بالعربية الشر بالشرفاتتضى قصير سيفه فضرب به البواب فقتله ، وجاء عمرو على فرسه فدخل الحصن بعقب الابل ، وابتركت الابل ، وحلت الرجال الجوالقات ومشوا فى المدينة بالسلاح فسار قصير ومن معه حتى دخلوا قصر الزباء وكانت تتعرف عمرا على كل حال من أحواله . تريد بذلك أن تعرفه لتكون كلما نظرت اليه أخذت حذرها منه فلما رأت الزباء عمرا ولت هاربة تريد النفق لكى تنجو فيه فلحقها عمرو فلما علمت أنها لا تفلته مصت خاتما كان فى يدها مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو فأرسلها مثلا، وماتت مكانها ؟ وقيل إن عمراً جللها بالسيف واستباح بلادها ، واستولى على ملكها وعظم أمره وهابته الملوك لما كان من حيلته فى الطلب بثأره حتى أدركه وخلف عمرو فى بلاد الزباء من يحكمها ، ورجع هو وقصير بالغنائم فيقال إن ذلك أول سبي قسم فى العرب من بلاد الروم ، وكان ملك عمرو نيفاً وستين سنة ومن عقبة النعمان بن المنذر .

(١) هو سيف بن ذى يزن ملك اليمن ويكنى بأبى مرة ، وله قصة عجيبة نذكرها بعد واستعلت . أى علت وارتفعت يقال علا واستعلى بمعنى واحد . والشأو : الغاية ، وشأو كل شيء غايته ، وشأو الفرس طلقه قال الشاعر فى تثنيته :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثأبى

المرتمى . موضع الرمى ، وهو الذى يقال له الغرض ، ويقال له أيضاً الهدف ويقال له أيضاً القرطاس .

وكان من حديث سيف بن ذى يزن أن الحبشة لما استولت على اليمن وغلبت عليها حمير بعد حروب كثيرة كانت بينهم وبين حمير إلى أن هزمهم الحبشة وأغرق ذو

نواس آخر ملوكهم نفسه فى البحر أنفة من استيلاء الحبشة على ملكه وخوفا من العار وذو نواس هو صاحب الأخدود الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم ، فأقام الحبشة باليمن اثنتين وسبعين سنة فلما طال عليهم البلاء وطال مكثهم خرج سيف وهو من أهل بيت المملكة إلى الروم يستنصر قيصر ، فشكى إليه ماهم فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث إليهم من يشاء من الروم فيكون له ملك اليمن فشاور وزراءه فقالوا له . أيها الملك ، إن الحبشة فى دينك ، ودين هذا العربى مخالف دينك فماطله ، وكره قيصر أن يخفره بعد ماوعده . فلما طال الأمر عليه خرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكى إليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لى على كسرى وفادة فى كل عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه وكان عظيما مضروبا فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك فإذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك وقال أبو عبيدة لما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب العظيم ثم يطأطىء رأسه فقيل ذلك لسيف فقال إنما فعلت هذا لهمى لأنه يضيق عنه كل شىء . ثم قال سيف : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة فقال له الترجمان . يقول لك الملك أى الأغربة الهند أم الحبشة ؟ فقال : بل الحبشة ، وجئت إلى الملك لينصرنى عليهم فنكون فى دينه ، فانه أحب إلى أن يملكنى وقومى من أن تملكنى الأغربة . فقال له الترجمان . الملك يقول لك هيهات هيهات . بعدت عنا أرضك ، وهى مع ذلك أرض قليلة الخير ، وإنما بها الشاة والبعير ، وهذا لاحاجة لنا فيه . وامر له بعشرة آلاف درهم فقبضها فلما خرج من عنده وهما على باب الملك . فوجد عليه وأمر برده إليه فقال له الترجمان : الملك وجد عليك . فقال :

ولم ذلك ؟ فقال عمدت إلى حباء الملك وكرامته . فأنهبته العبيد والاماء . فقال ، وما أصنع بالمال ؟ وما جبال أرضى التى خرجت منها إلا ذهب أو فضة ، وإنما كانت إرادته أن يرغب الملك فى بلاده فلما سمعه الملك أمره بالقيام ووعده بكل مايحبه ، وأن يوجه معه جيشاً . ثم إن الملك جمع وزراءه ومرازبته وشاورهم فى ذلك فقالوا له . أيها الملك . أما الرأى عندنا فأن لانوجه جنداً من جند فارس فى مفاوز العرب . حيث لاماء ولا كلأ ، وإنما يشرب فيها الماء من عيون مثل عيون الديكة . فإن غورت عليهم ماتوا عطشا . فقال ماكنت لأخفره بعد أن وعدته . ولا بد أن أبلغه أمله وأرعى قصده إلى ، فقالوا إن كان الأمر هكذا فإن هنا رأيا . قال وماهو ؟ قالوا . تبعث إلى سجونك فإن فيها قوما قد استحقوا القتل . وإنما حبستهم منة منك عليهم بأرواحهم . واستبقاء لهم فتخرجهم . وترأس عليهم رئيساً من غيرهم ذا رأى وحزم وبصر بالحروب . فإن ظفرا فإنه ملك زدته إلى ملكك وإن أصيبوا فهو الذى أردته بهم . فبعث إلى السجون فجمع من فيها ممن يستحق القتل ، فكانوا عشرة آلاف رجل فرأس عليهم وهرز ، وكان من الأساورة المتقدمين ، عالما بالحروب . وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة وسقط حاجباه على عينيه كبرا وهرما . فجعلهم فى البحر فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ، فلما انتهوا إلى ساحل عدن . قال بعضهم لبعض ، علام نغرر بأنفسنا مع ابن الفاعلة ؟ فحملوا أنفسهم على الجسور وهى مجازة ثابتة فى البحر . فانكسرت من السفن واحدة وسلمت خمس إلى عدن فتسامعت به العرب ، فاجتمعت إليه واجتمعت الحبشة إلى ملكهم مسروق أبرهة فزحف بهم إليه ، فتأهب سيف للقتال وقال للأسوار وهو وهرز الرأى عندى أن تكون رجلى مع رجالك أن نقاتل أو نهلك صبرا فإن السفائن قد انكسرت ونحن لا نتوقع من المدد إمدادا ، فعمد إلى عصابة حمراء فشد بها حاجبيه ، وتنكب قوسه ، وعبر أصحابه . وقال لوهرز : كن أنت وأصحابك حجزة ودعنا والقوم . قال ثم إن سيفاً خالطهم فاقتتلوا مليا ثم قال وهرز وكان

فَجرَّعَ الأُحْبوشَ سُمًّا ناقِعًا   واحْتَلَّ مِن غِمْدانِ مِحرابَ الدُّمى (١)

ضعيف البصر : على أى الدواب يقاتل ملكهم قالوا على الفيل . فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا : قد تحول إلى الفرس فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه ، فقالوا قد تحول إلى البغل ، فقال : البغل ولد الحمار ، والحمار ذليل ، ذل وذل ملكه ورب الكعبة . ثم أسمتوا له سمتة . فلما استقر بصره عليه ، وقد ربط حاجبيه بحريرة أخذ قوسه ، وكان لا يوترها غيره ثم نزع فيها وكان على مسروق تاج ، وبين عينيه ياقوتة حمراء فرماه ففلق الياقوتة وتغلغل السهم فى رأسه فخر لوجهه ، وانهزمت الحبشة فجعل الرجل منهم يأخذ البغلة أو العود فيضعه فى فيه يستأمن به ، ويدخل منهم النفر الحائط أو الدار فتقتلهم النساء والصبيان حتى أتى على آخرهم وكان كسرى عهد إلى وهرز فقال له إذا سرت إلى اليمن فظفرت بالقوم فاجمع أهلها وسلهم عن سيف فإن كان ملوكها كما زعم فتوجه بهذا التاج وقد كان أعطاه تاجا وقمازين وملكه على قومه واجب أنت المال وإن كان كاذبا فاقتله واكتب إلى لأكتب إليك برأى ، فلما تمكن من البلاد جمع أبناء الملوك فقال كيف سيف فقالوا ملكنا وابن أملاكنا أدرك بثأرنا فتوجه وملكه وكتب إلى كسرى بذلك فأقره باليمن ومنهم الذين يعرفون بالأبناء بصنعاء إلى عهد قريب .

(١) جرع : سقى ، والجرعة القليل من الماء ، ومنه قول الله عز وجل (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى لا يقطع شربه ، والأحبوش ملك الحبشة ويقال للجماعة أيضاً أحبوش وحبشة وقد تحبشوا إذا اجتمعوا . وناقعاً : بالغاً أقصى فعله فى الجسم من الايذاء والموت وثابتاً يقال نقع نقوعا إذا ثبت ، واحتل : نزل بالمكان واتخذه محلا له ، ومنه سمى المكان الذى ينزل فيه محلا . وغمدان : موضع بصنعاء اليمن ، وكان فيه قصر عظيم به صور من الرخام هدمه عثمان بن عفان

ثُمَّ ابنُ هندٍ باشرَتْ نيرانُهُ يومَ أُوَارَاتٍ تَمِيماً بالصَّلا (١)

رضى الله عنه فى الاسلام ويقال إن رسومه باقية إلى الآن . والمحراب ههنا : غرفة بصنعاء فيها صور قديمة حسنة ،أنشد الأصمعي للعرب:

ربت محراب إذا جئتها لم أدن حتى أرتقى سلما

وقيل المحراب : المجلس فى البيت وهو أكرم موضع فيه ، ومن هذا سمى محراب ، المسجد لأنه أرفع موضع فيه ، والدمى : الصور ، واحدها دمية قال الشاعر :

أو دمية من مرمر غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

ويقال للنساء أيضا دمى تشبيها لهن بالدمى ، وصنعاء باليمن كثيرة الأشجار والمياه مرتفعة على ربوة تشبه دمشق وهى من البلدان التى لا يدرى من بناها وتدمر بالشام والنسب إليها صنعانى .

(٢) باشرت : أى خالطت ، ويوم أوارات : يوم معروف من أيام العرب وأوارات : اسم موضع . وتميما : يعنى قبيلة والنسبة إليها تميمى . والصلا : وهج النار وهو مقصور إذا فتحت وإذا كسرت الصلا مددته فقلت الصلاء . وابن هند : هو عمرو عم النعمان بن المنذر وهو الذى يلقب بمضرط الحجارة وهو الذى قتل طرفة بن العبد واسمه عمرو وإنما لقب بطرفة لقوله :

لا تعجلا بالبكاء مطرفا ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

وكان من حديث عمرو بن هند المذكور هنا أنه كان شديد البأس وكان عم النعمان بن المنذر كان له أخ مسترضع فى بنى تميم خرج يوما يتصيد فمر بإبل لرجل من بنى تميم فرأى فيها ناقة حسنة فرماها فعقرها فجاء صاحبها فلما رآها معقورة وثب عليه فقتله فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بنى تميم مائة بدلا منه فغزاهم يوم أوارات فسبى ما أصاب فى بلادهم وأقبل يقتلهم على الثنية ، وآلى ليقتلنهم حتى

ما اعتنَّ لى يَأس يُناجى هِمّتى   إلاّ تَحدّاهُ رَجاءٌ فاكْتَمى(١)

أَلِيّةً باليَعْمَلاتِ يَرْتَمى   بها النَّجاءُ بيْنَ أجْواز الفَلا(٢)

يبلغ الدم إلى الأرض وليحرقنهم فقيل له أيها الملك لترفعن السيف أو قد أفنيتهم فقال والله لأتركنهم أو يأتونى بمائة رجل من خيارهم فطلبوا فلم يوجد منهم إلا تسعة وتسعون رجلا . فلما جىء بهم أمر بحفر زبية فاحتفرت لذلك ، ثم قال اضرموا نارا وألقوا فيها الحطب فأججت نار عظيمة فقال ألقوا فيها رجلا رجلا وبقى واحد من نذره فبينما هم كذلك إذ هم برجل راكب قد طلع عليهم وكان من البراجم فأبصر الدخان ووجد قتار لحومهم — أى رائحتها — على بعد فظن أنه طعام يصنع للناس فأقبل نحوهم فلما بلغ ورأى ما رأى جزع فقال عمرو انظروا ممن الرجل فأخذ فأتى به إليه فقال من أنت فقال رجل من البراجم فقال عمرو :

إن الشقى وافد البراجم

وهو من أمثالهم ، ثم قال ألقوه فى النار ليتم نذرى فألقى فيها فتم نذره . والبراجة من بنى تميم .

(١) اعتن : اعترض . وتحداه :اعتمده وقصده . واكتمى : استتر وتغطى. ومن ذلك سمى الشجاع كميًا لاستتاره بسلاحه ، وقيل بل سمى كميا لأنه يكمى شجاعته أى يسترها فلا يظهرها إلا عند الحاجة إليها يقول إننى لم يعرض لى بأس إلا رجوت زواله .

(٢) ألية باليعملات ، أى قسما باليعملات نصب على المصدر كأنه قال أولى ألية باليعملات أو آليت ألية باليعملات ، واليعملات جمع يعملة وهى الناقة الصلبة الشديدة ويقال للذكر يعمل . والنجاء : السرعة . والأجواز جمع جوز وجوز كل شىء وسطه ، والفلا جمع فلاة وهى الصحراء وتكتب بالألف لأنك

خُوصٍ كأشباحِ الحنـايا ضُمَّرٍ
يَرعُفنَ بالأمشاجِ مِن جَذبِ البُرا(١)

تقول فى الجمع فلوات . يقسم بالنوق الكريمة التى تجود الغلاة و تقطعها مسرعة

(١) الخوص ، الابل الغائرة العيون من الهزال أو الضيقة العيون لأن الخوص ضيق العيون ، والفعل منه خوص يخوص خوصاً والذكر أخوص ، والأنثى خوصاء . والأشباح الشخوص جمع شاخص واحدها شبح . والحنايا : القسى واحدها حنية . شبه الابل بها لضمرها . وضمر جمع ضامر وهو المهزول ، اللاحق البطن ضمورا وهزالا قال حميد الارقط :

لاحق بطن بقرى سمين

أى ضامر . ويرعفن : يسلن ، وهو مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف ، والأمشاج ، الأخلاط واحدهم مشج وهو ما يسيل من أنوف هذه النوق التى نعتها بالخوص المختلط المتغير بالدم ، وقوله من جذب أى من سوق وفيه لغتان جذب وجبذ على التقديم والتأخير ويقال جبذ وجذب إذا ساق وفلان شديد الجذب والجبذ أى السوق . والبرا : جمع برة وهى الحلقة تكون فى أنف البعير أو فى لحة أنفه من صفر أو حديد أو فضة فإن كانت من شعر أو صوف فهى خزامة ، وإن كانت من عود فهى خشاش فإن كانت من بقية حبل فهى عران وبروت البعير جعلت فى أنفه برة .

يقول إن هذه النوق منحنية الظهور كأنها القوس ضمورا وانحناء مع غؤور عينيها تسيل أنوفها دما من شدة جذب البرى التى بالأنف وإنما يكون ذلك من شدة السير والطرد .

يَرْسُبْنَ فى بحرِ الدُّجا وبالضحَى   يَطْفُونَ فى الآلِ إذا الآلُ طَفا(١)

أخفافُهُنَّ مِن حَفًا ومِن وجًى   مرثومةٌ تَخْضِبُ مُبْيَضَّ الحصا(٢)

يحمِلْنَ كلَّ شَاحبٍ مُحْقَوْقِفٍ   من طولِ تَدْآبِ الغُدُوِّ والسُّرى(٣)

---

(١) يرسبن : يغبن والرسوب الغوص فى الماء والمَغيب فيه إلى أن يبلغ قعره . وبحر الدجى : شبه الليل بالبحر والنوق بالسفائن ترسب فى قاعه وفى النهار تطفو فوقه . والدجى : الظلمة وهو جمع واحده دجية يقول هذه النوق تغيب فى ظلمة الليل وتظهر فى خلال النهار : والضحى ، بضم الضاد مقصور هو طلوع الشمس وإشراقها . وأما الضحاء بفتح الضاد والمد فهو فوق ذلك وهو القائلة . ويطفون: أى يعلون والطافى فوق الماء المرتفع كما قال الشاعر :

فما سبق القيسى من سوء سيرة   ولكن طفت علماء غرلة خالد

يريد على الماء ، والآل ما رفعته الشمس غدوة . والسراب إنما يكون فى انتصاف النهار كأنه ماء وليس بماء قال الله عز وجل (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وطفا ارتفع يقال طفا يطفو فهو طاف

(٢) الأخفاف للابل بمنزلة الحوافر للخيل الواحد خف . والحفا: مقصور رقة أخفاف الإبل وحافر الدابة من كثرة المشى . والوجا بالجيم وفتح الواو مقصور وجع فى الرجل يصيب الرجل من الحفا ، يقال من ذلك وجى الرجل يوجى وجى فهو وج . ومرثومة مشقوقة من الحجارة وقيل مكسورة وتخضب تصبغ . والحصا : جمع حصاة مثل قطا وقطاة يقول إن أخفافهن مشقوقة من الحفا والوجا الذى اعتراها من كثرة المشى وارتطامها بحصى البيداء يسيل منها دم غزير يدع الحصى الأبيض أحمر قانيا كأنه مخضوب بالحناء .

(٣) الشاحب : المتغير اللون من السفر أو التعب أو شظف العيش . والمحقوقف

بَرٍّ بَرَى طولُ الطَّوَى جُثمانَهُ ... فهوَ كقِدحِ النَّبعِ مَحنِيُّ القَرا(١)

يَنوي الّتي فضَّلَها رَبُّ العُلا ... لمّا دَحا تُربَتَها على البُنى(٢)

حتى إذا قابَلَها استَعبَرَ لا ... يَملِكُ دَمعَ العينِ من حيثُ جرى(٣)

المعوج الذى انحنى ظهره ، يقال احقوقف يحقوقف احقيقافا إذا انحنى ، والتدآب: المداومة والعادة يقال دأب يدأب دأبا ودؤبا وتدآبا . والغدو : سير النهار ، والسرى : سير الليل . بعد أن وصف النوق وصف ركبانها وهم حاجو البيت بالضمور والانحناء من شظف العيش وحر الهاجرة وطول السفر .

(١) بر : مطيع يقال رجل بر أى مطيع لله عز وجل ، والجمع أبرار وهو نعت للشاحب فلذلك خفض . وبرى : أهزل وأذهب لحمه ، ومنه برى القلم أى إضعافه وترقيقه وتحديد طرفه . والطوى : الخمص . وهو الجوع ، طوى يطوى طوى . قال : ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به كريم المأكل

وجثمانه : جسمه . والقدح : عود صلب تعمل منه السهام . والنبع : شجر تعمل منه القسي واحده نبعة . والمنحنى : المعوج . والقرا : الظهر .

يصفه بالتقى وطاعة الله لأنه يقصد بيته الحرام ، وبالهزال وانحناء الظهر والضعف لمواصلته الصيام بدون سحور ، ويشبهه بقدح النبع لقوته وضموره وشدة احتماله وصبره .

(٢) ينوى : يقصد مأخوذ من النية والنية القصد . والتى فضلها رب العلا : يعنى بها مكة . ودحا : بسط ، والبنى : جمع بنية وهى الشىء المبنى . يقول إنه يقصد مكة التى شرفها الله على كل بلد منذ أول الخلق وإنما يقصد نفس البيت الحرام لا مكة .

(٣) استعبر : بكى . وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة . والهاء من قابلها

ثُمَّتَ طافَ وانْثَنى مُسْتَلِمًا . ثُمَّتَ جاءَ المَرْوَتَيْنِ فَسَعَى(١)
وَأَوجَبَ الحجَّ وثَنَّى عُمْرَةً مِن بَعْدِ عَجٍّ ولَبَّى وَدَعا(٢)

راجعة إلى الكعبة وهى بيت الله . يقول إنه حين رأى مكة واستقبل البيت الحرام فاضت عبرته وجرت بالدموع عيونه . . من خشية الله لا يملك التوقف عن البكاء ولا يكف دمعه الجارى . وهذا البيت والذى يليه من حقه أن يذكر عقب قوله وأوجب الحج ليوافق فى ترتيبه أفعال الحج .

(١) ثمت : بمعنى ثم إلا أنهم يزيدون التاء كما يزيدونها بمعنى التأنيث فى قولهم قامت وكذلك يفعلون فى رب فيقولون ربت ، وطاف : يعنى الطواف سبعا بالبيت وانثنى : انعطف ورجع بعد الطواف إلى الاستلام . ومستلما : أى ماسا الحجر الأسود بيديه أو بفمه أو بعود وهو مأخوذ من السلمة وهو الحجر ووزنه مفتعل وجمع السلمة سلام . والمروتان : والمروة . وهما موضعان من مناسك الحج . والمناسك : المواضع التى يتقرب فيها إلى الله بصالح العمل . وأصل الصفا الحجارة الصلبة والمروة الحجارة المتينة وواحدة الصفا صفاة وواحدة المرو مروة . وغلب المروة على الصفا فقال المروتين لأنها أشهر من الصفا سماهما باسم واحد كما تقول العرب القمران يعنون الشمس والقمر . وقوله فسعى أى مشى والسعى المشى وسعى أيضا بمعنى عمل قال الله عز وجل ذكره (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) أى شرع فى أداء أركان الحج فطاف بالبيت واستلم الحجر الأسود ثم سعى بين الصفا والمروة .

(٢) أوجب الحج أى ألزمه نفسه . والحج القصد وفى تسميته حجاً ثلاثة أقوال ، وقيل هو من حججت فلانا إذا قصدته فسمى حج البيت حجاً لقصد الناس إليه ، وقيل الحج الزيارة فسمى الحج حجاً لعودتهم إلى البيت فى كل عام مرة بعد مرة قال الشاعر :

ثمتَ راحَ فى المُلَبِّين إلى حيثُ تَحَجَّى المَأزِمانِ ومِنى (١)

واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

والثالث : أنه بمعنى الإقامة لأن الحجاج يقيمون فى مكة أياما تصل إلى عشرة وقوله وثنى عمرة : أى ألزم نفسه مع الحج عمرة فجاءت بعد الحج ثانية والعمرة فى كلام العرب الزيارة قال الشاعر :

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

وقوله من بعد ما عج : أى رفع صوته بالدعاء . والتلبية قولهم : لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ، وأصله عند الخليل وسيبويه من ألببت بالمكان إذا أقمت به ، ولببت أيضا لغة قال الخليل وسيبويه ثم قلبوا الباء الثانية ياء استثقالا كما قالوا تظنيت من الظن والأصل تظننت وكذلك قالوا لبيت والأصل لببت فكان معنى قولهم لبيك أنا مقيم على طاعتك قد أجبتك إلى مادعوت ثم ثنوه للتوكيد فقالوا : لبيك أى أقمنا على طاعتك إقامة بعد إقامة لأنه كان قبل أن يثنى لب فجاءوا بالياء للتثنية ولم يستعمل مفرداً ، وروى عن الخليل قول آخر وهو أنه مأخوذ من قولهم : أم لبة أى عاطفة على ولدها فيكون معنى لبيك على هذا القول إقبالا عليك يارب بعد إقبال وانعطافا إلى المكان الذى دعوت إليه فأجبنا مسرعين ويممنا مهطعين والملبون جمع ملب ، والملبي هو المجيب بالتلبية .

(١) راح: أى خرج بالرواح وهو الخروج بالعشى والغدو أول النهار ، قال الله عز وجل (غدوها شهر ورواحها شهر) والمأزمان جبلان بين المزدلفة ومنى . ومنى : محل رمى الجمار بمكة . وتحجى : أقام . يقال : تحجى بالمكان . وحجى : إذا أقام فيه ولبث .

ثمّ أتى التّعريفَ يقرُو مُخْبِتا   مواقِفًا بَيْنَ إلالٍ فالنّقـا(١)
واسْتأنَفَ السّبْـعَ وسَبْعًا بعْدَها   والسّعيَ مابينَ العِقابِ والصُّوَى(٢)
وراحَ للتّوديعِ فيمَنْ راحَ قَدْ   أحْرزَ أجْرًا وقَلى هُجْرَ اللّغا(٣)

---

(١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ،ويقرو يتبع المواضع ويدخـل من موضع إلى موضع ، والمخبت المتواضع المخلص لله تعـالى قال الله عز وجل (وبشر المخبتين) . والمواقف : المواضع التى يقف فيها الحاج بعرفة والمزدلفة للدعاء والصلاة . وألال كسحاب وكتاب جبل بعرفات أو جبل عن يمين الإمام بعرفة يقوم فيه الإمام بالناس يوم عرفة . والنقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة ، وهو مقصور يكتب بالألف على قول من قال فى تثنيته نقوان ، ويكتب بالياء على قول من قال نقيان وأما النقاء ممدودا فصدر الشىء النقى

(٢) واستأنف : ابتدأ . والسبع : يعنى رمى الجمار السبع . وسبعا بعدها : أراد السبع الثانية التى تلى الأولى . والسعى المشى . والعقاب جمع عقبة . والصوى : الكدى وهى جمع صوة وقيل الصوى الحجارة التى تنصب على الطريق ليهتدى بها .

(٣) راح للتوديع : أى لتوديع البيت الحرام ، وكذلك يفعل الحاج بعد الفراغ من رمى الجمـار والذبح والحلق يذهب إلى البيت مودعا فيطوف به سبعا ويسعى بين الصفا والمروة سبعا ويرجع إلى منى فيقيم بها ثلاثة أيام ومنهم من يتعجل فى يومين ثم يتفرقون كما قال الشاعر :

فلله عينا من رأى من تفرق   أشت وأنأى من فراق المحصب
فريقان منهم جازع بطن نخلة   وآخر منهم قاطع نجد كبكب

وأحرز اجرا ملكه وأصابه . وقلى : أبغض ، ومنه قوله جل وعلا

بِذاكَ أَمْ بالخَيْلِ تَعدُو المَرَطَى ناشِزَةً أَكْتادَها قُبَّ الكُلى[1]

(ما ودعك ربك وما قلى) وتصريفه قلى يقلى قلا . والهجر بضم الهاء القبيح من الكلام ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً » يقال منه هجر الرجل يهجر هجرا إذا تكلم بكلام قبيح والاسم منه الهجر ، وأما الهجر بفتح الهاء فهو الهذيان من القول كما يفعل المهتر المريض صاحب الموم والبرسام ، والهجر أيضا بفتح الهاء القطع والصريمة تقول هجرت فلانا إذا قطعته أهجره هجرا فيهما جميعا . واللغا : الباطل من الكلام وفيه لغتان لغو ولغا ، قال الله عز وجل (والذين هم عن اللغو معرضون) وإحراز الأجر مسبب عن هجر اللغى فهو مقدم فى المعنى وإن تأخر فى الذكر

(١) بذاك أم بالخيل: هذه الباء متعلقة بقسم محذوف تقديره أقسم بذاك أم بالخيل . وتعدو : بالعين المهملة أى تجرى ، يقال عدا يعدو عدواً إذا جرى ، والمرطى ضرب من العدو وهو السهل منه . وناشزة : بالزاى المعجمة أى مرتفعة ومنه قولهم قعدت على نشز من الأرض أى موضع من الأرض مرتفع ، ومنه قوله جل ذكره (وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا) أى ارتفعوا . وأكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف ، وقيل الكتد ما بين الكاهل ووسط الظهر . وقب الكلى: أى ضامرة الكلى . وقب جمع أقب أقسم فيما مضى بالإبل تحمل البررة من الحاج آمين البيت العتيق بمكة محرمين بالحج ملبين لله معرفين مخبتين مشاهدين المواقف الكريمة طائفين بالبيت سبعا ساعين بين الصفا والمروة مودعين صائمين عن اللغو وهجر القول نالوا الأجر من الله . بذلك وبذاك . أقسم بالحاج نفسه وأم بالخيل قسم آخر يقول أقسم بالإبل ومن أقلته ظهورها من الحاج أقسم بالخيل العادية المرتفعة ظهورها ضموراً وهزالا .

شُعْثًا تَعادَى كَسَراحِينِ الغَضا ... مِيلَ الحَماليقِ يُبارِينَ الشَّبَا(١)

يَحْمِلْنَ كُلَّ شَمَّرِيٍّ باسِلٍ ... شَهْمِ الجَنانِ خائِضٍ غَمْرَ الوَغَى(٢)

---

(١) الشعث: تفرق شعر الرأس وتناثره والشعث: الخيل الثائرة الأعراف أى المرتفعة شعر الأعراف، والأعراف جمع عرف وهو شعر عنق الفرس، وتعادى تتسابق أراد تتعادى، وسراحين جمع سرحان وهو الذئب، والغضا جمع غضاة وهو شجر بالبادية دائم النبت قال الشاعر:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا ... شبوه بين جوانحى وضلوعى

وهو شجر يدوم جمره، وميل جمع مائلة، والحماليق: جمع حملاق أو حملوق باطن أجفان العين أو العين، يبارين يعارضن، والشبا مقصور جمع شباة وشباة كل شىء حده والمراد بها هنا أطراف الرماح

يقول إن هذه الأفراس نشيطة شعثة من كثرة العدو والحركة وهى حين تعدو عدو الذئاب ترنو بعيونها الأطرف الأسنة وتميل معها فى كل اتجاه

(١) يحملن: يريد الخيل، والشمرى: الماضى فى الأمور وهو مأخوذ من التشمير يريد كل مشمر لملاقاة أقرانه مشتد لذلك، والباسل الشجاع مشتق من البسل وهو الحرام قال الشاعر:

بكرت تلومك بعد وهن فى الندى ... بسل عليك ملامتى وعتابى

أى حرام فكأن الباسل حرم على أقرانه الدنو منه لشجاعته وشدته، وقيل الباسل المر الكريه، وقد بسل الرجل يبسل بسالة إذا صار مرا، وشهم الجنان: حاد القلب. والجنان: القلب. وخائض: أى داخل وولج. والغمر: الماء الكثير الذى يغطى من دخله ويغمره والوغى جلبة الناس وصياحهم فى الحرب إلا أنهم سموا الحرب وغى باسم الصياح الذى يكون فيها. يصف الرجال فوق

يَغْشَى صَلا الحَرْبِ بِحَدّيهِ إِذَا ... كانَ لَظى الحَرْبِ كَرِيهَ المُصْطَلى (١)

لو مُثِّلَ الحَتْفُ لهُ قِرْناً لما ... صَدَّتْهُ عَنهُ هَيْبَةٌ وَلا انْثَنى (٢)

وَلوْ حَمى المِقْدارُ عَنْهُ مُهجةً ... لَرامَها أوْ يستبيحَ ما حَمى (٣)

الخيل بالبسالة والقوة والتجربة فى الحروب وأنهم ألفوها .

(١) يغشى : يدخل ويطأ . والصلا مفتوح مقصور حر النار فإذا كسر أوله مد فقيل صلاء . ولظاها أيضا حرها . وحدا السيف : جانباه ، ولظى الحرب شدة نارها . وكريه المصطلى أى مبغض الاستدفاء به يقول إنه مغامر يقذف بنفسه كلها فى الحرب لشجاعته وقوته وإيمانه بالغلبة والقهر

(٢) لو مثل الحتف : أى صور . والحتف : الهلاك . والقرن : الذى يقارنك فى بطش أو قتال أوعلم . وصدته : منعته ومنه قوله تعالى (وصدوكم عن المسجد الحرام) وهيبة : أى مخافة ، والهيبة : أن يعظم الإنسان فى عينك وتهابه حتى تخافه . وانثنى : رجع ، والانثناء الرجوع عن الشىء والانصراف عنه

(٣) حمى يحمى حماية : يمنع ، والمقدار هو القدر يعنى قدر الله عزوجل ، والمهجة : النفس وجمعها مهج ، ورامها : طلبها وأدركها ويستبيح يدرك ذلك الشىء نافذا أمره فيه ونصب يستبيح بأن لأن أو هنا بمعنى حتى ، وأو إذا كانت بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن كان الفعل بعدها منصوبا . فأما كونه بمعنى حتى فمثل هذا الذى ذكرنا ، وأما كونها بمعنى إلا أن فمثل قولك لأضربنك أو تقرأ أى إلا أن تقرأ ومنه قول امرىء القيس

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وإن وقعت أو فى موضع لا يصلح فيه إلا أن أو حتى كان الرفع لا غير كقولك أتجلس أو تقوم أتزورنا أو تقاطعنا . يقول : إنه يغالب القدر فيغلبه فلو أن نفسا لم يأت أجلها من النفوس التى تعاديه حماها القدر لرام فرسها وأدرك ذلك حتى يستبيح بسيفه ما حماه القدر وإنما هذا مبالغة وإغراق فيها .

تَغْـدُو المَنايَا طائعاتٍ أمْرَهُ تَرْضَى الّذى يَرْضى وتأبَى ما أبَى(١)

بَلْ قَسَماً بالشُّمِّ مِنْ يَعْرُبَ هَل لمُقْسِمٍ مِن بَعْدِ هَذا مُنتهى(٢)

هُمُ الأُولَى إنْ فخرُوا قالَ العُلا بِفِى امْرِئٍ فاخَرَهم عَفْرُ البَرَى(٣)

هُمُ الأُولى أجْـرَوْا يَنابيعَ النَّـدَى

هامِيَـةً لِمَنْ عَـرَى أوِ اعْتَفى(٤)

---

(١) تغدو : تأتى بالغدوة مبكرة إليه ، ويروى تعدو بالعين المهملة . ومعناه تسرع إلى طاعته وتبادر إلى إرادته ، وتأبى تكره ولا تريد وتصريفه أبى يأبى إباء وإباية فهو آب يرتب عليه أن المنايا أصبحت طوع مشيئته منقادة لأمره خاضعة لحكمه وتصرفه تقر الذى يراه . لا تعصى له قولا فقد تلاشت فيه وأصبح هو المنايا وهذا إغراق أيضا وتهويل

(٢) بل : حرف عطف وهو للاضراب عن الأول للثانى . وقسما : أى يمينا ، والشم : الطوال . وقيل أشراف الناس ، ويعرب قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان ، والمقسم : الحالف ومنتهى أى غاية . يقسم بأشراف بنى يعرب ، ويقول مستفهما مستنكرا إن هذا نهاية الحلف فلا قسم عند بعدهم لبلوغهم نهاية العز والشرف .

(٣) هم الأولى بمعنى هؤلاء ، والعلا : الفخر والرفعة ، ومعالى الأمور: مكارم الأخلاق ،وبفى امرىء : أى بفمه وعفر الأرض . وجهها ، والبرى : مقصوراً التراب ،يقال ما على عفر الأرض مثله أى وجهها. يقول إن لهم الذروة فى المفاخر لا يساميهم فيها أحد حتى أن العلا لتقول لمن تجرأ على مفاخرتهم بفيك التراب

(٤) الينابيع : العيون التى تجرى بالماء فى الارض . قال الله جل ذكره

هُمُ الَّذينَ دَوَّخُوا مَنِ انْتَخَى　　وقَوَّمُوا مِنْ صَعرٍ ومِنْ صَغَا(١)
هُمُ الَّذينَ جَرَّعُوا من ماحَلُوا　　أفاوِقَ الضَّيْمِ مُمَرَّاتِ الحُسَا(٢)

فسلكه ينابيع فى الارض) واحدها ينبوع ، قال الله جل ذكره (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) والندى . الجود وهو الكرم ، والهامية . السائلة يقال همى المطر إذا سال وعرا : قصد وتعرض للطلب يقال عرانى واعترانى إذا تعرض لسؤالى ، والمعتر . المعترض ومنه قول الله جل ذكره (وأطعموا القانع والمعتر) القانع . هو السائل والمعتر . المعترض واعتفى . طلب من غير تعرض ، والمعتفى الطالب للقرى والرفد وجمعه معتفون ويقال فيه أيضا عاف وعفاة . يقول إن ينابيع نداهم تفيض وتهمى على الناس جميعا من قصدهم ومن لم يقصدهم .

(١) دوخوا : اذلو يقال دوخت فلانا إذا أذللته ، وداخ هو نفسه إذا ذل وانتخى . افتعل من النخوة وهى التفاخر والتعاظم ، والتقويم . التأديب بإلزامه طريق الاعتدال ، والصعر . التكبر وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الانسان خده من التكبر قال الله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تتكبر وقرىء ولا تصعر تقول رجل أصعر وامرأة صعراء والصغا : الميل قال الله تعالى (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى ولتميل

يقول . إنهم شجعان بواسل أدبوا كل متعظم شديد الفخر حتى ذل وانقاد لأمرهم ولزموا الجادة والطريق المستقيم وإنما ذلك لقوة بأسهم وشدتهم فى الحرب

(٢)وجرعوا . الجرعة حسوة الماء وجرع الماء ابتلعه وجرعه سقاه إياه مقطعا على مهل طوعا أو كرها وجرعه الماء والشراب فتجرعه أى شربه قال الله تعالى (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) واجترعه جرعه بمرارة ، وماحلوا غالبوا ماحله مماحلة ومحالا قاواه حتى يتبين أيهما أشد ، والمحالة : البكرة العظيمة تعلق على فوهة البئر.

أَزالَ حَشْوَ نَثْرَةٍ مَوْضُونَةٍ ... حتى أُوَارَى بَيْنَ أَثْناء الجُثى(١)

وصَاحِبيَّ صارِمٌ في مَتْنِهِ ... مِثْلُ مَدَبِّ النَّمْلِ يَعْلُوا في الرُّبى(٢)

والأفاوق . جمع فيقة اسم لما يجتمع فى الضرع بين الحلبتين والضيم : الظلم والانتقاص ، وممرات جمع ممرة ـ أي مريرة مرة، والحسا . اسم لما يحتسى من مرق أو غيره أي يشرب شيئا بعد شيء أو تناول الطائر الماء إذ لا يقال شرب الطائر وإنما يقال حسا . يقول إنهم الذين أذاقوا أعداءهم العذاب الشديد ألوانا وسقوهم الضيم حسوة بعد حسوة ، والمرار جرعة بعد جرعة ليكون أبلغ فى العذاب وأشد فى الايلام

(١) أزال : هو جواب القسم فى قوله بل قسما بالشم وأراد لا أزال والعرب تقول والله أفعل كذا بمعنى لا أفعل مستعمل إسقاطها فى الجواب قال الله عزوجل (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) أي لاتفتؤا ، وقال امرؤ القيس .

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أراد لاأبرح ، وحشو نثرة موضونة . أى لابس نثرة لأن الحشو ما حشى به أى أدخل فى جوفه فكأنه صار حشوا إذا لبسها . والنثرة الدرع الواسعة وكذلك النثلة . الموضونة . الدرع المنسوجة أو المقاربة النسج أو المنسوجة حلقتين حلقتين أو بالجواهر المحكمة النسج ، قال الله عز وجل (على سرر موضونة) وأوارى : أغطى ، والأثناء والمثانى : القوة والطاقات جمع ثنى وهو ما تثنى منها أو تعوج وتراكب وانعطف على بعض : والجثى : جمع جثوة وهى الحجارة المجموعة : يقول : قسما بالشم الخ لا أزال لابسا درعى المحكمة النسج حتى أموت وأوارى فى قبرى بين الصخور

(٢) صاحباه : سيفه وفرسه الذى سيذكره فى البيت الخامس بعد .

أبيضُ كالملحِ إذا انتضيتُهُ ... لم يلقَ شيئاً حدُّهُ إلاَّ فرى(١)
كأنَّ بينَ عيرِهِ وغربِهِ ... مُفتأداً تأكلتْ فيهِ الجُذى(٢)

والصارم : السيف القاطع وجمعه صوارم ، وفى متنه : أى فى ظهره يعنى متن السيف يريد بذلك وسطه . والمدب الطريق ومد النمل طريق سيره هو من دب يدب مدبة ودبا ودبيبا إذا مشى يريد فرند السيف وهو جوهره الذى تراه كأثر النمل أو النقوش التى تكون كالحلية عليه وإنما تحلى السيوف القاطعة المجربة لا يريد الندوب التى تظهر على الحديد من أثر الطرق عند صنعه فذلك عيب فى الصناعة أو المصنوع ويعلو : يرتفع . والربى:جمع ربوة ما ارتفع من الأرض يصف النمل وطريقه بعد أن أقسم أنه لا يزال لابسا الدرع السابغة قال إن صاحبى سيف صارم عظيم محلى متنه ومنقوش نقشا بديعا منمنما يخال كطريق النمل الآخذ فى سيره إلى مسكنه من الربوة فى الأرض

(١) أبيض كالملح : يصف السيف بالبياض : وانتضيته : جردته من غمده. وفرى : قطع ، والفرى القطع وتصريفه فرى : يفرى : فريا . يقول : سيفى أبيض كالملح فى البياض والصفاء إذا جردته وسلكته من غمده فرى وقطع ومزق حده كل شىء يصادفه لأنه جيد قاطع

(٢) العير هنا :الموضع الناتىء فى وسط السيف والغرب : حد السيف الذى يضرب به . والمفتأد : موضع النار. تأكلت: أكل بعضها بعضا. والجذى: جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة ، يصف الموضع الذى بين العير والغرب بتغير لونه من أثر النار . يقول كأنما كانت فيه نار ملتهبة أبقت أثراً لا يفارقه ، وإنما يكون السيف كذلك من كثرة مضاربه وما علق به من آثار الدماء .

يُرِى المَنُونَ حِينَ تَقفُو إِثْرَه ... فى ظُلَمِ الأَكْبادِ سُبْلاً لا تُرَى (١)

إِذَا هوَى فى جُثَّةٍ غادَرَها ... مِنْ بَعْدِ ما كانَتْ خَسًا وهىَ زَكا (٢)

ومُشْرِفُ الأَقطارِ خاظٍ نَحْضُهُ ... حابِى القَصيرِ جُرْشُعٌ عَرْدُ النَّسا (٣)

---

(١) المنون هنا المنية . وتقفو : أى تتبع ، والسبل . الطرق واحدها سبيل يريد أن هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت ، وهذا من رقيق الشعر فهو يقول : إن المنون تتبع آثار هذا السيف وهو يبصرها طرقا خفية فى ظلم الأكباد لا يمكن أن تراها بغيره

(٢) هوى فى جثة : أى وقع على جثة فنى هنا بمعنى على . والجثة : الجسد وجمعها جثث : وغادرها : تركها ، ومنه قول الله عز وجل (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) والخسا : الفرد . والزكا : الشفع من العدد والزوج ، وإنما يعنى به أنه إذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد أن كان واحدا ، أى أن هذا السيف إذا سقط على جثة شطرها نصفين فصيرها زوجا بعد أن كانت فردا

(٣) مشرف الأقطار : يعنى فرسه . والمشرف : المرتفع العالى : والأقطار : النواحى واحدها قطر قال الله جل ذكره (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) والخاظى : الغليظ المكتنز . والنحض : اللحم . والحابى : بالباء المرتفع . والقصير : ضلع فى الجنب وهى الضلع السفلى . والجرشع : الغليظ الأضلاع وهو الشديد من الخيل القصير الأضلاع المتصلة إلى الصلب ، وقيل الجرشع العظيم الصدر وهو محمود فى الخيل . والعرد : الشديد من كل شىء . والنسا : عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعرقوب حتى ينتهى إلى الرسغ ، وهو يكتب بالياء والألف لأنه يقال فى تثنيته نسيان ونسوان.

قَرِيبُ ما بيْنَ القَطـاةِ والَمطا بَعيدُ ما بيْنَ القَذال والصَّلا(١)
سامِى التَّليل فى دَسيعٍ مُفْعَم رَحبِ اللَّبان فى أمينات العُجَى(٢)

وصف أول صاحبيه وهو السيف بما تقدم ثم وصف صاحبه الثانى وهو الفرس بأنه عالى النواحى وإنما يكون كذلك لعظم هيكله وجسامته وبين ذلك بأنه خاظى اللحم مكتنزه وليس إشراف أقطاره لبروز عظامه هزالا ولكن سمنا وقوة ، ثم وصفه بارتفاع أعلاه ومنكبيه وعنقه والمتانة والشدة لاجتماع أسبابها فيه من غلظ الأضلاع وشدة النسا .

(١) القطاة : العجز ومابين الوركين أو مقعد الرديف من الفرس . والمطا : هو الظهر كله سمى بذلك لأنه يمطى أى يركب . والقـذال : جماع مؤخر رأس الفرس ومعقد عذاره أى ينعقد عذاره خلف الناصية وهو ما بين الأذنين . والصلا : العجز وهو آخر الوركين . يصف مؤخرته بالتقارب للقوة والمتانة وبعد مابين رأسه إلى عجزه لاكتمال جماله بطول عنقه .

(٢) السامى : العالى المرتفع . والتليل : العنق وسمى تليلا لأنه يتل منه أى يصرع ، والدسيع مغرز العنق فى الكاهل ، والدسيعة : بالتاء فى غير هذا الموضع المائدة الكريمة ، ومنه قولهم فلان ضخم الدسيعة أى كثير طعام المائدة ، والمفعم : الممتلىء يقال أفعمت الاناء إذا ملأته ، والرحب : الواسع ومنه سميت الرحبة لاتساعها ، واللبان : الصدر ، والأمينات : القويات الصحاح سالمات الصلاب واحدتها أمينة ، والعجى : واحدتها عجاية بالضم وهى عصب مركب فيه فصوص كفصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة أو كل عصبة فى يد أو رجل أوعصبة فى باطن الوظيف من الفرس تجمع على عجى وعجى . يصف عنق الفرس بالسمو والارتفاع ومغرزه بالامتلاء وصدره بالرحابة والاتساع وأعصابه بالقوة والثبات لا الخور والضعف

رُكِبْنَ فى حَوَاشِبِ مُكْتَنَةٍ ... إلى نُسورٍ مِثْلَ مَلْفوظِ النَّوى (١)

يَرْضَخْ بالبيدِ الحصى فإنْ رَقَى ... إلى الرُّبَى أَوْرَى بها نارَ الحُبا (٢)

يُدِيرُ إعْلِيطَيْنِ فى مَلْمومَةٍ ... إلى المُوَحَّيْنِ بألحاظِ اللأى (٣)

---

(١) ركبن : يريد العجى أو القوائم ، الحواشب : جمع وهو عظم بباطن الحافر وقيل بين الرسغ والحافر والمكتنة : المستورة من كننت الشىء إذا سترته ، أو المكتنة المكتنزة ويروى مكينة أى غليظة ، والنسور ، جمع نسر ، وهى لحمة ناتئة يابسة فى باطن الحافر شبهها بالنواة إما لصلابتها ولأنها على صورة النواة وملفوظ النوى : ما لفظ منه أى رمى بهوطرح . يقال: لفظت الشىء إذا رميت به ولفظه البحر يلفظه إذا طرحه ورمى به إلى الساحل ، والنوى : جمع نواة وهى مافى داخل الثمرة من العظم الذى فيها ، يصف أعصاب الفرس أو قوائمه وكيف ركبت مع الحوافر وكيف نبتت الحوافر صلبة بارزة

(٢) يرضخ : يكسر والرضخ الكسر . والبيد جمع بيداء ، القفر ، ورقى : ارتفع ، والربى : جمع ربوة وهى الكدى وأورى : أوقد والمستقبل يورى قال الله عز وجل (أفرأيتم النار التى تورون) أى توقدون وقال (فالموريات قدحاً) فالموقدات قدحاً ، والحباحب : دابة تضىء بالليل كأشد مايكون من النار ، واسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر قال النابغة :

تقد السلوقى المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب

يقول إن حوافر هذا الفرس تكسر حصا البادية حين تطؤه ويكاد اصطدام حوافره بالحجارة يورى كالزناد ناراً مضيئة لامعة كنار الحباحب فى لمعانها وبريقها .

(٣) الاعليط : وعاء ثمر المرخ ، شبه أذنى الفرس بذلك وهو شبيه بقشور

مُداخِلُ الخلقِ رَحيبٌ شَجْرُه   مُخْلولقُ الصَّهْوةِ مَمْسودٌ وأىْ (١)

لاَ صَـكَكٌ يَشينُـهُ وَلا فَجا   وَلا دَخيسٌ واهِنٌ ولاَ شَطا (٢)

الباقلا الرطبة تشبه به آذان الخيــل ، والململومة : الهامة المجتمعة المستوية . واللموحان : العينان ، والألحاظ : النظرات وهى جمع لحظة ، واللأى : الثور الوحشى والأنثى لآة على وزن لعاة . يقول إن هذا الفرس كله حركة ودؤوب ونشاط لأن آذانه وعينيه دائبتا الدوران وذلك إذا كان نشيطا .

(١) المداخل : المجموع ، والخلق : الخلقة والصورة ، والرحب : الواسع والشجر : بالشــين المعجمة والجيم والراء مجتمع عظم اللحيين ، وقال أبو بكر الزبيدى الشجر مخرج الفم ، والمخلولق : الأملس يقال اخلولق متن الفرس أى صار أملس ، والصهوة : من الفرس موضع السرج وهو ظهره ، والممسود : المفتول قال الله تعالى فى حق أبى لهب (فى جيدها حبل من مسد) ، والوأى: الصلب الشديد وهو أيضا السريع من الخيل ، يصف الفرس بالقوة وباجتماع أعضائه ورحابة فمه واملاس متنه ، وإنما قال ممسود لبدو عضلاته وتمايزها قوة وصلابة

(٢) الصكك : احتكاك العرقوبين أحدهما بالآخر ، وقيل هو اصطكاك الركبتين ، يشينه : يعيبه ، والفجا : تباعد ما بين العرقوبين كثيرا وهو الفجج أيضا . والفجا أيضا : تشقق العصب وانتشاره لفساد وهو عيب ، والدخس تراكم اللحم على حوافر الفرس ، وقيل الدخيس وجع يصيب الفرس فى مشاش حافره ، والواهن : الضعيف يقال وهن الشىء إذا ضعف ومنه قول الله عز وجل (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا) وقال (رب إنى وهن العظم منى) أى ضعف . والشطا : عظم لاصق بالذراع . وقيل الشطا انشقاق العصب .

يجري فتكبو الريحُ في غاياته حَسرى تلوذُ بجرائم السَّحا(١)

لو اعتسَفتَ الأرضَ فوقَ مَتنه
يَجوبها ما خفتَ أنْ يَشكو الوَجى(٢)

بعد أن أثبت للفرس الصفات التي تمدح بها أصائل الخيل نفى عنه العيوب التي تشينه كالصكك والفجا والدخس والوهن والشطا ليتم كماله

(١) تكبو . تعثر لوجهها لسبق الفرس إياها وإنما هو مثل . والغايات : جمع غاية وهي منتهى جريه ، وحسرى : منكشفة قال الله عز وجل (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) وتلوذ : تلجأ ، والجرائم : جمع جرثومة ، وهو التراب الذي يجتمع في أصول الشجر ، والجرائم أيضاً الأصول واحدها جرثومة، والسحا : ضرب من الشجر . يقول إنه يسابق الريح فيسبقها في كل غاية، ثم زعم أن الريح تسقط دون غاياته متكشفة ، مقهورة مغلوبة على أمرها منه نحو الأرض معتصمة منه بأصول النبت أي بالأرض .

(٢) اعتسفت الأرض : يقال عسف عن الطريق مال وعدل وكذلك اعتسف وتعسف أو خبط على غير هداية يريد قطعت الأرض أي سرت فيها باعتساف منك ، والاعتساف ضد الرفق وهو المشقة ، ومتنه : ظهره ، ويجوبها : يقطعها ويخرقها ، ومنه قول الله عز وجل : (وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي) والوجى : الحفا أو أشد منه أو أن يبلغ الوجع إلى باطن الرسغ . يقول : إن هذا الفرس لقوته وصبره لا يشكو الحفا ولو أنك عدلت به عن الطريق المعروفة وسرت به في الطرق المجهولة فانه يجوبها دون أن يخاف أو يخشى حفا وذلك لمتانة حوافره وشدة قوائمه .

تَظُنُّــهُ وهْوَ يُرَى مُحْتَجِبًا   عن العُيون إنْ دَأَى أوْ إنْ رَدَى (١)

إذَا اجتَهَدْتَ نظَراً فى إثْرِهِ   قُلتَ سَنًا أوْ مَضَ أوْ بَرْقٌ خَفَا (٢)

كأنَّما الجَوْزاءُ فى أرْسَاغِهِ   والنَّجْمُ فى جَبْهَتِهِ إذَا بَدا (٣)

هُما عَتادِى الكافِيانِ فقدَ مَنْ   أعْدَدْتُهُ فَلْيَنْأَ عَنى مَنْ نَأى (٤)

---

(١) دأى : جرى وكذلك ردى ، والدأى والردى : ضرب من العدو ، يقال دأى يدأى دأيا ، وردى يردي رديا إذا جرى جريا سريعا ، يقول : إنه لسرعته وشدة جريه تظن أن العين لاتدركه مع أنها تراه وإنما ذلك لشدة عدوه

(٢) اجتهدت تكلفت النظر ، وإثره : خلفه ، والسنا : مقصور الضوء قال الله عز وجل (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) وأومض : أضاء ولمع لمعا خفيفا يقال فى تصريفه أومض يومض إيماضا فالواو فيه أصلية ، والخفو لمع البرق فى نواحى الغيم يقال خفا البرق يخفو خفوا . يشبهه بومض الضوء ولمع البرق وهذا نهاية السرعة

(٣) الجوزاء : نجم معروف وهو التوأمان ، والأرساغ : جمع رسغ : وهو مفصل ما بين الحافر والوظيف من كل دابة . والنجم . وهو الثريا . وبدا : ظهر وهو غير مهموز ، يقول : إن هذا الفرس أغر محجل

(٤) هما : يشير إلى صاحبيه اللذين تقدم ذكرهما فى صدر المقصورة بقوله :

وصاحبى صارم فى متنه   مثل مدب النمل يعلو فى الربى

وهما السيف والفرس ، والعتاد : ما يتخذ عدة للدهر ويهيؤ بحضرة من يتخذه يقال عتد الشىء يعتد فهو عتيد إذا حضر قال الله جل ذكره (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ، والكافى : المغنى ، فلينأ : أى فليبعد من نأى إذا بعد :

فإنْ سمعتَ برَحَى مَنْصُوبةٍ ... للحَرْب فاعْلَمْ أنّنى قُطبُ الرَّحَى (١)
وإنْ رأيتَ نارَحرْب تَلْتَظى ... فاعْلم بأنّى مُسْعِرٌ ذاكَ اللظى (٢)
خيْرُ النفوس السَّائلاتُ جَهْرَةً ... على ظُبات المُرْهَفات والقَنا (٣)
إن العِراقَ لمْ أُفارقْ أهْلهُ ... عَنْ شَنَآنٍ صَدّنى ولاَ قِلى (٤)

يقول انهما يغنيانى عمن اتخذته لى عدة ودريئة فسيفى وفرسى عدتى التى غنيت بها عن كل أحد مفقود متباعد ولست أريد معينا لى ومساعدا غيرهما ولاصاحبا

(١) برحى : منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا وقد يراد بالرحى التى يطحن عليها ، والقطب : الحديدة أو الخشبة التى تدور عليها وأنشد

فدرنا كما دارت على قطبها الرحى ... ودارت على هام الرجال الصفائح

يفخر بأنه فرس الميدان لا يعتمد على أحد غير نفسه

(٢) تلتظى : تشتعل ، ومسعر : موقد ، واللظى : اللهب ، وهذا فخر أيضا بأنه لحبه للقتال ولشجاعته هو يشب نار الحرب مبتدئا فليس موقفه موقف المدافع وإنما هو يسعرها ويوقدها لشدته وقوته وإبائه الضيم والاذلال .

(٣) والسائلات جمع سائلة والمراد بها المراقة وإنما المراد الدم . وجهرة : عيانا ، والظبات جمع ظبة : وهى حد السيف ، والمرهفات : السيوف الرقاق واحدها مرهف ، والقنا : الرماح واحدها قناة ، يقول إن خير النفوس أى الدماء التى تسيل فى مواطن الحرب على ظبات السيوف والرماح وهذا كالدليل .

(٤) العراق : بلاد من عبادان إلى الموصل طولا ومن القادسية إلى حلوان عرضا ، وسميت العراق عراقا لأنها شاطىء دجلة والفرات ، ولم أفارق : لم

ولاَ اطَّبى عَينىَ مُذْ فَارقتهم   شىءٌ يَروقُ العينَ مِنْ هَذا الورَى (١)
همُ الشَّناخِيبُ المُنيفاتُ الذُّرَى   والنَّـاسُ أدْحالٌ سِواهُمْ وهوَى (٢)
همُ البُحورُ زاخرٌ آذيُّهـا   والنّاسُ ضَحْضاحٌ ثغابٌ وأضَى (٣)

أزايل ، وأهله سكانه ، والشنآن ، البغض، يقال شناءان وشنآن وشنأ ، وصدنى منعنى وصرفنى ، ويروى عن شنأ أصدنى ، يقال صده وأصده بمعنى واحد قال الشاعر :

أصد نشاص ذى القرنين حتى   تولى عارض الملك الهمام

والقلى : البغض . يقول انى لم أفارق أهل العراق لالبغض أو عداوة

(١) ولا اطبى : ولا دعا ولا استمال . يروق : يعجب . والورى : الخلق . يقول : ان عينى لم تقع فى الدنيا على إنسان حسن الظاهر جماله يستهوى اللب ويستميل العين منذ فارقت العراق وأهله .

(٢) الشناخيب : أطراف الجبال واحدها شنخوب ، والمنيفات : المرتفعات الطوال الشواهق ، والشواهق جمع شاهق وهو ما شهق من الجبال أى طال والذرى : جمع ذروة وهى أعلى الجبل ، والأدحال : جمع دحل وهى الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيق أعلاه ، وهوى : أى لا يساوون شيئا ، يمدحهم بالرفعة على سائر الناس ، وأن الناس غيرهم ما بين ساقط وذال أو مرتفع فارغ كالهواء.

(٣) الزاخرات : جمع زاخر . والزاخر الماء الكثير الفائض ، يقال زخر البحر إذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه ، والآذى : الموج جمعه أواذى ؛ والضحضاح : الماء القليل لا عمق له يكون إلى الكعبين وأنصاف الساقين ،

إنْ كنتُ أُبصرتُ لهُمْ مِنْ بَعدِهِمْ ... مِثْلا فأَغضَبتُ على وخزِ السَّفا (١)

حَاشا الأميرَيْنِ اللّذَيْنِ أوْفَدا ... عَلَيَّ ظِلاًّ مِنْ نَعيمٍ قدْ ضفا (٢)

هُما اللّذانِ عَمَّرا لى جانِبا ... مِنَ الرَّجاءِ كانَ قِدْماً قدْ عَفا (٣)

والثعاب : جمع ثعب ، وهو الموضع المطمئن فى أعلى الجبل ليستنقع فيه ماء المطر ، والأضى : جمع أضاة ، وهى الغدران الصغار . يقول إنهم هم البحور الزاخرة الممتلئة التى تفيض على الأرض ومنها المطر والناس عداهم منكشفون لا أصل لهم كالماء الضحضاح القليل الغور .

(١) أغضيت : صبرت على المكروه أى أغمضت عينى وسددتها والإغضاء الصبر على المكروه ، والوخز طعن غير نافذ ، وقيل الوخز الطعن بسرعة ، وقيل الوخز الشوك ، والسفا : شوك البهمى . يقول : إننى لم أبصر فى حياتى مثلا لهم ولا نظيرا ، فإذا ادعت عينى أنها رأت لهم نظيراً حشيت عينى شوكا فأغمضت عليه ومرضت من شدة وخزه وإيجاعه

(٢) أوفدا : أى أرسلا يقال أوفد فلان فلانا إذا أرسله ، وضفا : أى كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال ، ونعم ضافية أى كثيرة . بعد أن وصف أهل العراق بما وصف من علوهم ورفقهم على الأنام استثنى من غير أهل العراق الأميرين فقال حاشاهما فقد أظلنى نعيمهما الضافى

(٣) عمرا : أى أصلحا يقال عمر فلان منزله إذا أصلحه وسكنه وروى بالغين المعجمة أى غطيا من قولهم غمره الماء أى غطاه ومعناه ستراما تكشف من جوانبى والجانب : الناحية وجمعه جوانب . والرجاء : بالمد الأمل وقدما : أى قديما ، وعفى : أى درس يريد أنهما قد أحييا ميت آماله التى كانت قد عفت ودرست وقنط من تحقيقها .

وَقلّدانى مِنَّةً لو قُرِنَتْ بشُكرِ أهلِ الأرْضِ عَنِّى ماوَفى (١)
بالعُشرِ مِنْ مِعْشارِها وكانَ كالْ حَسْوَةِ فى آذِىٍّ بحْرٍ قدْ طَمى (٢)
إنَّ ابنَ ميْكالَ الاميرَ انتاشَنى من بعْدِ ماقدْ كُنْتُ كالشىءِ اللّقا (٣)

---

(١) قلدانى منة : جعلاها فى عنق وهو موضع القلادة ، والمنة : النعمة وجمعها منن . وقرنت أى عدلت وقيست . وقوله ما وفى : أى ماقام بها ولا عدلها شكرهم يقول إن منتهما التى قلدانى إياها عظيمة جدا بحيث لو قام أهل الأرض عنى بشكرها لاقتضت شكرا زائدا على شكر أهل الأرض وهذا تمثيل لقصوره وعجزه عن شكر نعمتهم عليه

(٢) العشر : جزء من عشرة أجزاء والمعشار كذلك وعشر المعشار وهو جزء من مائة جزء والحسوة : الجرعة مما يشرب وهى للطائر وهى تعد بالقطرة فما عسى أن يأخذ فم الطائر من قطر الماء والآذى : الموج . وطمى : امتلأ وارتفع . يبين أن شكر أهل الأرض لا يفى بالمنة التى لهما فى عنقه فحسب بل إن ذلك الشكر جميعه لا يفى حتى بعشر معشار هذه النعمة أى بجزء من مائة جزء منها . ثم شبه الشكر بالنقطة الصغيرة من الماء يحسوها الطائر من بحر ذى موج مرتفع لعظم امتلائه بالماء .

(٣) ابن ميكال : هو عبد الله بن محمد بن ميكال . وميكال اسم أعجمى لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وهو فارسى من أمراء فارس . وانتاشنى : نعشنى وقيل نعشنى ، وقيل معناه تناولنى وأخذنى مقربا اليه . والعرب تقول الظبية تنوش الأراك وتنتاشه أى تتناوله بفمها قال الله تبارك وتعالى (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أى وكيف لهم التناول من مكان بعيد . ونشت الرجل نوشا أنلته خيرا . والأراك : شجر يستاك بعوده قال الشاعر :

ومدَّ ضَبْعىَ أبو العباس مِنْ
بَعْدِ انْقباضِ الذَّرْعِ والباعِ الوَزَى (١)

ذاكَ الّذِى مَا زالَ يَسْمُو لِلعُلى بِفعْلِهِ حتى علا فوْقَ العُلا (٢)

لوْ كانَ يَرْقَى أحَدٌ بجُودِهِ ومَجْدِه إلى السّماءِ لارْتقى (٣)

إذا هى لم تستك بعود أراكة تنخل واستاكت به عود أسحل

تنخل . اصطفى واختير ، والاسحل أيضا شجر يستاك بعوده . واللقى : الشيء المطروح الملقى يقال رجل لقى وقوم ألقاء وكل ما يلقى ويطرح فهو لقى

يقول إن الأمير ابن ميكال عمه بخيره ورفع قدره وأسناه وبلغه الرتبة العالية السامية من بعد ما قد كان شيئا لا يؤبه له ولا يحس بوجوده ولا تعرف له قيمة كالشيء التافه المطروح فى الأرض لهوانه على أهله وعدم اكتراثهم به .

(١) المد : البسط ضد الانقباض ، وضبعى عضدى . والضبع وسط العضد . وأبو العباس : هو اسماعيل بن عبد الله بن ميكال فمدح الأب والابن وكان الابن تلميذ ابن دريد . والذرع والذراع واحد . والباع : القامة ومنه الحديث الذى جاء عن زمان الطوفان فان الماء سار على وجه الأرض سبعين باعا وعلى رءوس الجبال سبعين ذراعا . والوزى : القصير يقال رجل وزى وامرأة وزاة

يقول : إن عضدى قوى وذراعى طال وساعدى امتد بالأمير اسماعيل بن عبد الله أبى العباس الميكالى بعد أن كان منقبضا ضعفا وعجزا وانكماشا .

(٢) ذاك إشارة إلى البعيد وقد يقصد به الأب الممدوح بالبيت قبله ولكن لا مانع من انصرافه إلى الابن وأشار إلى تعظيمه بالبعد . ويسمو : يرتفع

(٣) يرقى : يرتفع ويعلو ، والجود : الكرم ، والمجد: معالى الأمور والفضائل

ما إنْ أتَى بَحْرُ نَداهُ مُعْتفٍ على أوارَى عَلَمٍ إلاّ ارْتَوى (١)
نَفسى الفِداء لأميرىَّ ومَنْ تحْتَ السَّماءِ لأميرىَّ الفِـدا (٢)

يقول : إن جوده ومجده واسطتا الرقى والارتفاع إلى نهايات الرفعة والكمال

(١) أتى : قصد ويمم ، والندى : الكرم ، والمعتفى صاحب العطاء والكرم والعافى من يعفو عن الآثام قال تعالى (والعافين عن الناس) ، وأوارى علم أى أعالى جبل ويروى يشكو أوارى عيم أى يشكو ظمأ وعطشا ، وارتوى : أصاب ريا بذهاب ظمئه . يقول إن ساحة جوده وكرمه كالبحر لا يقصدها طالب متعطش إلا أصاب ريا ، وعلى الرواية الأولى يقول إن نداه يبلغ الطالبين ولو كانوا بأعلى الجبال ، يريد أن بحر نداه خضم متلاطم الأمواج وكرمه كالموج يصيب به من يقطنون أعالى الجبال فضلا عن سهول الأرض

(٢) الفدا : يمد ويقصر فمن قصره كتبه بالألف ومن العرب من يفتح فدى لك ويقصره ، والأفداء : كيل التمر فعلى هذا يكون الواحد فدى ومنهم من يقول الفداء بفتح الفاء والمد للتمر المجموع ، ولغة رابعة فى الفدا يقال فدا لك منى على الكثير مثل عاف تقول فدأ لك أبى وأنشد :

مهلا فدأ لك يا فضاله أجره الرمح ولا تهاله

والسماء همزتها من واو والأصل سماو فسكل واو وياء إذا دخلت بعد ألف طرفا انقلبت همزة والسماء هذه المرئية وهى سبع سموات خلقها الله عز وجل من دخان علا بخار الماء وبناها فسماها الله سماء ثم فتق تلك الواحدة فجعلها سبع سموات قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) وقال آخرون بل فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات . وفدا معرب يقال انا الفدا لك . يقول إنى فداء لأميري وكذلك كل من تحت السماء فداء لأميرى .

هُما اللَّذانِ أثبَتا لى أملاً ... قدْ وقفَ اليأسُ بهِ على شَفا (١)

تَلافَيا العَيْشَ الّذى رنَّقهُ ... صَرْفُ الزَّمانِ فاسْتَساغَ وصَفا (٢)

---

(١) هما : يريد الأميرين ابنى ميكال اللذين مدحهما بالمقصورة أثبتا : حققا وأوجدا بعد أنلم يكن أوأنعشا وأحييا الأمل الميت الذى كان يقتله اليأس وذلك بما خولاه من نعمة وماجادا به عليه من عطاء .والأمل المراد والرجاء واليأس انقطاع الرجاء ، والشفا : الحافة والحرف والطرف قال الله تعالى : (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) يقول : إن أملى لولاهما لقتله اليأس وألقاه فى شفا الهاوية والدمار .

(٢) التلافى : التدارك ، وقيل تلافياه أتياه على قصد ، والعيش : ما به مادة الحياة والترنيق : التكدير يقال رنق الماء أى كدره ، وهو من أسماء الأضداد فيقال رنقه أيضاً إذا صفاه ورنق الله قذاتك أى صفاها . وليس هذا هنا بمراد ، وصرف الزمان : أحواله وتقلباته على الانسان بالغير من سوء إلى حسن . ومن مرض إلى صحة ومن فقر إلى غنى وضعف إلى قوة ومن تفرق إلى اجتماع وأضدادها . واستساغ : سلس وانقاد فى الحلق وأصل ذلك من السوغ وهو ما تساغ به الغصة تعرض للآكل فى الحلق منشراب أو ماء يقال هذا شراب سائغ أى طيب . وصفا : خلص من كل مكدر والصفو ضد الكدر .

يقول : إن هذين الأميرين وجداعيشى مرنقا وكدراً لاطاقة لى على استساغته وتحمله فتداركانى ببرهما وكرمهما وعطفهما على بما جعلنى أستسيغ الحياة وخلص عيشى من الكدوة قال الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا ... أكاد أغصُّ بالماء الفرات

وأجريا ماءَ الحيا لي رَغَداً فاهتزَّ غُصْني بعدَ ما كانَ ذوَى (١)

هُما اللّذانِ سَمَوا بناظِري

منْ بعدِ إغضائي على لَذْعِ القَذَى (٢)

لا زالَ شُكْري لهُما مُواصِلاً لَفظِي أوْ يَعْتاقَني صَرْفُ المَنا (١)

---

(١) جرى الماء ونحوه : سال واندفع وتحدر ، والحيا : الغيث والخصب والمطر مقصور وقد يمد وإنما سمي حياً لأنه سبب الحياة ومادتها . والرغد : السعة فى العيش قال الله تعالى لآدم ولزوجه (وكلا منها رغداً حيث شئتما) . واهتز غصني : أى طال واهتزت الأرض إذا أنبتت وأصل الهز التحريك ، فكأنه يريد تحرك ليمتد ويطول . قال الله تعالى (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) . والغصن : ما تشعب من ساق الشجرة دقاقها وغلاظها . والجمع غصون وغصنة وأغصان . والمراد بغصنه عوده . وذوى : البقل يذوى ذبل . يقول إن النعمة الضافية والسعادة والأرزاق التى امتدت إلى بسببهما كانت لى بمثابة نهر جار مملوء بماء الحياة أعاد إلى جسمي رونقه وبهاءه . بعد أن كان ذاويا ذابلا مضمحلا .

(٢) سما الشيء : ارتفع وسما به علاه ورفعه ، والناظر : العين أو إنسانها والاغضاء : إطباق العين أو مقاربته ، واللذع : الحرقة . يقال لذعته النار تلذعه إذا أحرقته. والقذى : ما يقع فى العين ، يقال قذيت عينه قذى وقذيانا إذا وقع فيها القذى . وإنما يريد به المعنى الحسى لا القذى الحقيقى يقول : إنهما أحلاني موطن الكرامة ، ففتحا أمام عيني الحياة والسعادة ، بعد ما كنت أغض النظر على كل مؤلم مكروه بشأن الضعيف الواهن .

(١) الشكر : المكافأة وهو فعل لازم يتعدى بالحرف وشذ قول الشاعر :

إنَّ الأُولى فارَقتْ مِنْ غيْرِ قِلى ... ما زاغَ قلبى عَنهمُ ولا هَفا (١)

لكِنَّ لى عَزْماً إذَا امتَطيتُهُ ... لمُبْهَمِ الأمْرِ فَآهُ فانْفأى (٢)

شكرت بنى عوف فلم يتقبلوا ... رسولى ولم تنجح لديهم وسائلى

ويروي نصحت بنى عوف . ويقال : شكرت بك كما يقال كفرت بك .
ويعاقبني معناه يعوقني ونصبه لأن المعنى حتى يعتاقنى واعتاقه الموت كاعتقاه ،
وصرف المنا أثم اجتز أراد المنايا أ كما قال الشاعر :

درس المنا بمتالع فأبان ه أراد المنازل ، وإن أراد بالمنا القدر كتبه بالياء
لأنه يقال منى الله لك كذا يمنيه . والمنا الذى يوزن به بالألف وتثنيته منوان
والمنا : الحذا كمحاذاة الأمر للاسم . يقال دارى المقارنة تمنا دار فلان أى
تحاذيها . يقول سأشكرهما مدة حياتى ويواصل بلسانى شكرهما مدة تلفظه لا يحول
بينه وبين مواصلة ذلك الشكر شىء إلا صرف المنون

(١) الأولى بمعنى الذين وفارقت صلته والعائد محذوف لطول الاسم بالصلة والأصل الذين فارقتهم . والقلى : البغض . وما زاغ : ما زال ومنه قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أى لا تزلها عن الإيمان ومعنى زاغ أيضا مال ومنه قوله تعالى (ما زاغ البصر) ، وهفا : مال من الميلان أيضا ويكتب بالألف من هفا يهفو . يقول : إنى لم افارق أهل العراق عن بغضة وإن قلبى لا يزال متعلقا بهم لم يمل ولم يزل متجها بكليته إليهم .

(٢) ويروى الخطب . والعزم والعزيمة واحد ، قال الله تعالى (فإذا عزمت فتوكل على الله) . وامتطيته : ركبته ، ومبهم الخطب : الأمر المستغلق لا يهتدى لفتحه . وفأه : أى شقه وفتحه يقال للشق بين الجبلين الفأوة ويقال ضربته بالسيف على رأسه ففأه أى شقه نصفين وفأوت رأسه فانفأى أى انفعل منه . وانفأى

ولَوْ أَشاءُ مَدَّ قُطْرَيْهِ الصِّبا عَلَيَّ في ظِلِّ نَعيمٍ وَغِنى (١)

يكتب بالياء بعد الهمزة . يقول إن له عزما قويا إذا جردته لأمر مبهم أوضحه وبين مناهجه ومعالمه .

(١) أشاء : على زنة أفعل والأصل أشيأ فانقلبت الياء ألفا ومدت لمجيء الهمزة بعدها فالمصدر شئت أشأ شيئا وشيئة . فأنا شائى . والقطران : الطرفان والناحيتان والقتر مثله . والصبا مصدر صبوت صبأ وصبوت صبا بفتح الصاد والمد فأما الصبا بغير مدح فالريح وسمى الصبي صبيا لأنه يصبو إلى كل لعب . والصائبون قوم لا دين لهم يصبون من دين إلى دين . وقيل يعبدون الملائكة وقيل قوم بين اليهود والنصارى يكونون بجزيرة الموصل ، وغنى بكسر الغين مقصور ضد الفقر يكتب بالياء غنيا غنى بكسر الغين ، فإذا مددت فهو هذا الغناء المعروف

تغن بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وقال : النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا غنى إلا غنى النفس » وقال رؤبة ما بى غنى عنك وإن غنيت . قال الفراء : وإن اضطر شاعر فمد غنى النفس ضد الفقر جاز وأنشد

سيغنيني الذى أغناك عنى فلا فقر يدوم ولا غناء

وأنشد الأصمعى فى القصر :

وما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل

يعيل : يفتقر ، قال الله تعالى (فإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) حدثنا أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال الغناء بالمد اسم موضع . وقال ابن دريد : الغناء بالمد والكسر رمل معروف . وأنشدنا جميعا :

يخرجن عن رمل الغناء للأعين شهرين ما فى السر من طفل البغا

وَلاعبتْنى غادَةٌ وَهْنانَةٌ تُضْنى وفى تَرَشافِها بُرْءُ الضَّنا (١)

فى خدِّها رَوْضٌ من الوَرْدِ على الـ نَّسرِيْنِ بالألحاظِ منها يُجْتَنَى (٢)

لو ناجَتِ الأَعْصَمَ لانحطَّ لها

طُوعَ القيادِ مِنْ شَماريخِ الذُّرَى (٣)

أى من إبطاء. فأما الغناء فممدود بفتح الغين من قولك ما عند فلان غناء. أى كفاية

(١) الغادة الغيداء : المرأة تتثنى لينا ونعمة ، والوهنانة : المزاحة الضحاكة وتضنى : أى تسقم عاشقها إذا تباعدت ، وتبرىء بريقها وامقها . والضنى : يكتب بالياء من ضنى يضنى ، والترشاف : التفعال من رشف ويقال رشف يرشف إذا مص رضاب جاريته ، والبرء : تكتبه بغير واو لين والهمزة إذا تطرفت وسكن ما قبلها لم تصور خطا . وهو مصدر برأ يبرأ برءاً فهو بارىء وبرأ لغة وبريت من الدين بالياء أيضا ، وبريت القلم أبريه وحكى ابن دريد بروت القلم أبروه وأبريت الناقة أبريها وجعلت فى أنفها البرة . ويروى تصبى وفى ترشافها برء الصبا . وكلاهما وجيه .

(٢) النسرين : النور الأبيض ، والألحاظ : النظرات جمع لحظة ، ويجتنى : يقتطف .

(٣) ناجت : تكلمت . والأعصم : الوعل الذى فى إحدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما ، وسمى وعلا للبياض الذى فى أظلافه ، والأظلاف : جمع ظلف ، وهو الخف الذى يكتنف رجل الظبية ، وانحط : أنزل ، والقياد : التذليل ، والشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ ، والذرى : أعالى الجبال واحدها ذروة . يقول : إنها لجمالها تستنزل الأوعال من أعلى الجبال أى أن لجمالها جاذبية ساحرة الألباب تأسرها يصفها بحسن الصوت أيضاً :

أوْ صابَتِ القَانِتَ في خُلوْلِقٍ مُسْتَصْعَبِ المَسْلكِ وعْرِ المُرْتقى (١
ألهاهُ عَنْ تَسْبيحِه ودِينِهِ تَأنيسُها حَتى تَراهُ قَدْ صَبا (٢

يصف الغادة الوهنانة التي لاعبته ولهت معه بأن وجهها روضة احسن جمعت بين جمال الورد ونضرته ولونه الأحمر وبياض النسرين غير أن جناها يؤخذ بلحظ العين للطفه ورقته لا يقتطف باليد .

(١) صابت : وافقت . وافقته يقال صاب السهم وأصاب إذا وقع في الرميه ، وصادفها ، وصاب السحاب الموضع وأصابه اذا أمطره ، والقانت : القائم بالعبادة المطيع لله الزاهد فيما يرغب الناس فيه من الدنيا ، قال الله عز وجل (كل له قانتون) أي مطيعون ، و (ان ابراهيم كان أمة قانيا له) أي مطيع ومتعبد وارتياده : سلوكه ، والخلولق : الجبل الأملس الطويل . الذي لا نبات فيه ، والمستصعب أي الصعب ارتياده وسلوكه ، والمسلك : الطريق الذي يسلك فيه أي يدخل ويمشي ، والمرتقى : المصعد وهو الذي يرتقى اليه ، والوعر : الصعب . أي لو عرضت الى متعبد انقطع عن الناس وزهد في الدنيا وزخارفها وسكن في مفازات الجبال الصعبة التي لايستطاع الوصول اليها تقشفا وزهدا بعيدا عن العمران

(٢) ألهاه . شغله ، والتسبيح : التنزيه لله عز وجل وهو التبرئه من كل ذم وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة ، يقال سبحت أي صليت ، ودينه : أي طاعته وتأنيسها : أنسها وحديثها ، وقوله حتى تراه قد صبا : أي قد لها وفعل فعل الصبيان ، وصبا يكتب بالالف لانه من ذوات الواو . يقول : انه لشدة ما يؤنسه من رؤية وجهها الجميل وسماع مناجاتها الحلوة العذبة لا ينصرف عن عبادته وتسبيحه فحسب بل يصبو اليها ويفتتن بها

كأنّما الصَّهباءُ مَقطوبٌ بها ماءُ جَنى وردٍ إذا اللَّيلُ عَسا(١)

يَمتاحُه راشِفُ بَردِ ريقِها بينَ بَياضِ الظَّلمِ مِنها وَاللَّمى(٢)

سَقى العَقيقَ فالحُزَيزَ فالمَلا إلى النُّحَيتِ فالقُرَيّاتِ الدُّنا(٣)

---

(١) الصهباء: الخمر سميت بذلك لصهوبة لونها، والمقطوب: المزوج وكذلك المشوب بمعنى واحد، وماء جنى ورد: أى ماء جنى الورد طريا أى قطف والجنى: اسم ما جنى، وعسا الليل: أظلم، ويروى غسا بالغين المعجمة ومعناهما واحد. يقول إن ريقها خمر مزجت بماء الورد المجتنى ليلا حيث النسيم عليل صاف بالغ النهاية فى الرقة واللطف والصفاء.

(٢) يمتاحه: يستقيه، والممتاح الذى يغرف بيديه من أسفل البئر إذا قل الماء، والماتح بالتاء الذى يمد الحبل فى البئر ليستقى. والراشف: المتناول الشراب بشفتيه، وريقها: لعابها، والظلم: بفتح الظاء بياض الأسنان حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد، واللمى: سمرة الشفتين يقال رجل ألمى وامرأة لمياء واللمى أيضا قلة اللحم والدم على اللثة، والشنب: برد ريقها وعذوبته يقول إن الذى يمتص رشفات ثغرها إنما يمتص الخمر الممزوجة بجنى الورد الغض النضير.

(٣) العقيق: موضع بالبصرة، والعقيق أيضا موضع حول مكة على أميال منها، والعقيق قرية بالمدينة، والحزيز والملا والنحيت، مواضع بالبصرة ونواحيها والقريات: جمع قرية مصغرة، والدنا: مادنا منها. يدعو لهذه المواضع بالسقيا لتعظيمها عنده ومحبته لها، ولأنها مساكن السادة البواسل الفحول أهل المجد والشرف.

فالمَرْبدَ الأعلى الّذى تَلقى بهِ … مَصَارِعَ الأُسْدِ بألحاظِ المَها (١)

مَحَلّ كلِّ مُقْرِمٍ سَمَتْ بهِ … مآثِرُ الآباءِ فى فرْعِ العُلا (٢)

مِنَ الأُولى جَوْهَرُهُمْ إذا اعْتزَوْا … مِنْ جَوْهَرٍ مِنْهُ النبيُّ المُصْطفى (٣)

---

(١) المربد : موضع بالبصرة وهو سوق تجتمع فيه العرب ، وكان الأخفش سعيد بن مسعدة يقول المربد : بفتح الميم وكسر الباء مثل المسجد على وزن مفعل ومصارع الأسد : مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال فكنى عنهم بالأسد لشجاعتهم ، وأراد أنهم صرعوا بألحاظ المها : أى قتلتهم ألحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى بقر الوحش الواحدة مهاة فالألحاظ هى الفاعلة فى المعنى ، والألحاظ : النظرات . و كذلك يطلب السقيا للمربد الأعلى ويصف نساءه بالجمال ورجاله بالشجاعة والبسالة وبأنه مجتمع أولئك وهؤلاء ومرتادهم . وأن فيه الأماكن التى لاقى بها العاشقون حتفهم وصرعتهم أعين الغيد الحسان .

(٢) المحل : الموضع الذى يحله القوم للمقام فيه أى ينزل به القوم للاقامة والمقرم : السيد الكريم وأصل المقرم فحل الابل . وسمت به : أى ارتفعت به . والمآثر : جمع مأثرة وهى الصنائع الحسنة والأفعال الرضية . وفرع كل شىء أعلاه ، ومنه فرعت الجبل إذا علوته ، وفروع الشجرة أعالى أغصانها وافترعت المرأة : إذا افتضضتها وأصله إذا علوتها . والأفرع : طويل الشعر يقول : إن هذه الأماكن السالفة هى مواطن الكرام الفحول الذين توارثوا الشرف والمجد عن آبائهم وسموا إلى المعالى

(٣) من الأولى : أى من القوم الأولين . وجوهرهم : أصلهم ، وجوهر

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ما جَنَّ الدُّجَى
وَمَا جَرَتْ فى فلكٍ شَمْسُ الضُّحى (١)

جَوْنٌ أعارَتْهُ الجنوبُ جانباً منها ووَاصَتْ صَوْبَهُ يدُ الصَّبا (٢)

نَأى يمانِيّاً فلمّا انْتَشَرَتْ أحْضَانُه وامْتدَّ كِسْراهُ غطا (٣)

كل شيء خالصه . إذا اعتزوا : أى إذا انتسبوا يقال اعتزيت إلى فلان أى انتسبت اليه والمصطفى : المختار . يقول إنك إذا أردت أن تنسبهم وجدتهم ينتسبون إلى النبى المصطفى وهذا أبلغ الشرف .

(١) جرت : سارت . وشمس الضحى : تسمية للشمس ببعض وقتها لأن إشراقها فيه يكون أتم . يطلب من الله الصلاة على رسوله المختار أو يخبر بأنه صلى عليه صلاة دائمة متلاحقة مادام الزمنان الليل والنهار فاللهم صل وسلم وبارك عليه أبدا .

(٢) الجون : من الأضداد ، أى يكون الأسود ويكون الأبيض. والجنوب: الريح القبلية تجيء بالمطر . وواصت : واصلت ، يقال واصاه وواصله بمعنى واحد ، والصوب : نزول المطر يقال صاب يصوب صوبا ، والاسم الصيب ، قال الله تعالى (أو كصيب من السماء) والصبا : الريح الشرقية . وهذا استئناف لاعلاقة له بما قبله إلا أنه دخول على مدحهم بالكرم والندى وأن لهم صفة الغيث . والسحاب الممتلىء المرجحن بالماء تحمله إياه رياح الجنوب والصبا

(٣) نأى يمانيا : أى طلع مبعداً من ناحية اليمن يريد الغيم . وانتشرت : أى كثرت وظهرت . وأحضانه : نواحيه وأصل الحضن مادون الإبط إلى الكشح وكسراه : تثنية كسر وهو طنب الخباء ، وإنما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب

فَجلَّلَ الأُفقَ فَـكُلُّ جانبٍ منها كأنْ مِنْ قَطرِهِ المُزْنُ حَبا (١)
وطَبّقَ الأرضَ فَـكُلُّ بُقعةٍ منها تَقولُ الغيثُ فى هاتا ثَوى (٢)

وهو استعارة ، وإنما يريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها . وغطا : ارتفع وقيل انبسط ، يقال غطا الليل يغطو إذا انبسطت ظلمته . يصف الجون الذى أمدته ريح الجنوب بمائها وأدامته رياح الصبا فأقبل من جهة اليمن فعم بأحضانه كل النواحى ، وانتشر فى الأرجاء والبطاح ، وامتدت أذياله وستر كل ما علاه .

(١) جلل : غطى ، ومنه سمى جل الفرس جلا لأنها تجلل به أى تغطى به والأفق : الناحية وجمعه آفاق وأطلق الأفق وأراد الآفاق لقوله فكل جانب منها ومن قطره : أى من ناحيته وجمعه أقطار على رواية من رواه بضم القاف . والقطر جهة من جهات الأفق وعلى هذه الرواية يروى حباً بالباء بنقطة واحدة من أسفل ، ويكون معنى حبا امتد ودنا من الأرض لثقله بالماء يريد السحاب ، ويروى كأن من قطره كان حيا بالياء المنقوطة بنقطتين من تحت وقطره بفتح القاف وتقديره غطى هذا السحاب الأفق . فكل جانب : من جوانب هذه المواضع . وكأن من قطره : أى من صوبه . وحيا : أى خصبا . والمزن : السحاب والواحدة مزنة وتصغيرها مزينة : والقطر : بفتح القاف الماء السائل متقطعا يقال منه قطر يقطر قطرا . يقول إن هذا السحاب غطى الأفق وستره حتى لم تبق جهة من الجهات والأقطار سيق الماء الماطر من كل جهة وجانب إلا حبا وامتد منها وسيق منها ذلك السحاب ، بل أن الناظر اليه ليرى أنه سيق وامتد من كل قطر .

(٢) وطبق الأرض : غطى الأرض هذا السحاب فصار لها كالطبق . فكل

إذَا خَبَتْ بُروقُهُ عَنَّتْ لَهَا رِيحُ الصَّبا تُشِبُّ مِنها مَا خَبا (١)

وإنْ ونَتْ رُعودُهُ حَدا بِها راعَى الجَنوبِ فَحدَتْ كَما حَدا (٢)

بقعة: أى مكان . فى هاتا : أى فى هذه البقعة وهو بمنزلة هذا الذكر . وثوى : أقام . يقول كأنما مطر هـذا السحاب جلل بقاع الأرض كلها وعملها وأصابها بوابل منـه فـكل مكان تراه ينطق ويتحدث لغزارة جوده بأنه وحـده الذى ثوى فيـه الغيث وأصابه وذلك لـكثرة ريعان أرضه وامتداد ثمارها ووفرة زروعها وخصبها لارتوائها بالغيث وزيادته فيها .

(١) خبت بروقه : أى أطفئت وسكنت ، قال الله عز وجل (كلما خبت زدناهم سعيرا) وعنت : عرضت ، ومنه قول امرىء القيس .

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيل

تشب . توقد . يقول إن هـذا السحاب يصاحبه رعد وبرق دائم كثير ، فاذا خبت البروق تعرضت لها ريح الصبا فأوقدت ماخبا من هـذه البروق ، يريد أنه دائم المطر دائم الومض لا تـكف سماؤها عن الهطول ولا رعوده عن البروق

(٢) وإن ونت : أى ضعفت وفترت ومنه قول الله جـل ذكره (ولا تنيا فى ذكرى) أى لا تضعفا ولا تفترا . وحدا بها : أى ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذى يسوق الابل الحادى سائق الابل يرفع صـوته وراءها بالغنـاء ، والراعى الذى يرعى الابل أى يحفظهـا . وسمى راعى الجنوب : لأنه هو الذى يواليها ويرعاها بمـا تحتاجه والجنوب : الريح القبلية . فحدت : ساقت كما حـدا : كما ساق . يقول إن الصبا وهى رياح الشرق والجنوب وهى الرياح القبلية يعاونان هذه السحب فالصبا تديم بروقه إن خبا وميضها ، والجنوب تتابع رعوده وتحدو بها إذا ونت عن الزئير وإنما صوت رعود هذه السحب كحداء الابل هذه تتبع

كأنَّ فى أحضانه وبَرْكِه   بَرْكاً تداعَى بينَ سَجْرٍ ووَحَى (١)
لمْ تَرَ كالمُزْنِ سَواماً بُهَّلاً   تَحْسَبُها مَرْعِيَّةً وهىَ سُدى (٢)

حداء الراعي وتلك تتبع حداء رياح الجنوب التى ترعاها أو أن هذه السحب تتبع سائقها .

(٢) كأن فى أحضانه . أى فى أحضان هذا الأفق فالضمير فى أحضانه عائد على الأفق . وإن شئت كان عائدا على السحاب وهو أحسن ، وأحضانه نواحيه من أطرافه . والبرك الأول : الصدر . والبرك الثانى : الابل . وتداعى : أى تتداعى بحذف إحدى التاءين والتداعى هو أن يدعو بعضها بعضا . والسجر : الحنين ، والحنين طرب الناقة إلى ولدها وهو صوت شجى ، يقال حنت تحن حنينا . والوحى : الصوت . يقول كأن هذه السحب المرعدة تضم بين نواحيها أوأعجازها وصدورها إبلا يدعو بعضها بعضا بأصوات عذبة مشجية تشبه أصوات الابل عند الحنين وإنما هذا وصف للرعد وتشبيه له بحنين الابل وأصواتها .

(٣) المزن : السحاب . السوام : الابل الراعية ، والمسيم : الراعى للابل السائمة يقال أسام الابل يسيمها إسامة وسوماً ، قال الله عز وجل (فيه تسيمون) أي ترعون إبلكم . والبهل : التى لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من ألبانها ، وقيل البهل المتروكة بغير راع . وتحسبها مرعية : أى محروسة . والسدى : المهملة التى لا راعى لها ، قال الله عز وجل (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) ويروى سواما هملا أى متروكة ، وكانت الحكمة تقتضيه أن يعكس فيقول تحسبها سدى وهى مرعية لأن المسير للسحاب هو الله تعالى . يقول : لم أر شيئا مثل السحب أقرب إلى الابل السائمة الممتلئة ضروعها باللبن تركت بلا راع وأنت تظن أن لها راعيا يصرفها ويحسن خدمتها والقيام على أمرها والحق أنها مهملة .

تقولُ للأجْراز لمّا استوْسقت بسَوْقهِ ثِقى بِرِيٍّ وحَيـا(١)

فأوْسعَ الأحدابَ سَيْبًا مُحْسِبًا وطبّقَ البُطنانَ بالماء الرِّوى(٢)

كأنّما البيْداءُ غِبَّ صَوبه بَحرٌ طما تيّارُهُ ثمَّ سَجا(٣)

---

(١) الأجراز : جمع جرز وهى الأرض الصلبة التى لم يصبها المطر ، وقيل هى الأرض المشققة التى لا تكاد تروى من الماء قال الله تبارك وتعالى (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) وجمعه أجراز . واستوسقت : أى حملت ما يكفيها من الماء ، والوسق : الجمع قال الله عز وجل (والليل وماوسق) أى وماجمع من ظلمته ، قوله ثق برى : أى اطمئنى برى أى بشبع من الماء يقال شربت حتى رويت . وقوله وحيا : أى خصب وهو مقصور .

(٢) الأحداب : جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، قال الله سبحانه (وهم من كل حدب ينسلون) . والسيب : العطاء . والمحسب : الكافى من قولك حسبنا الله أى كافينا الله . وطبق : غطى وستر ، والبطنان : جمع بطن وهو الغامض من الأرض . والروى : الماء الكثير إذا كسر قصر وإذا فتح مد .

يقول : إن هذا السحاب الكافى الغزير أصاب المرتفعات وعمها وملأ المنخفضات وأرواها بالماء الوفير الكثير المشبع .

(١) البيداء : القفر وهى الصحراء أيضا ، سميت بيداء لأنها تبيد سالكها . وغب صوبه : عقب مطره وانتصب غب على الظرف وهو من ظروف الزمان والصوب : نزول المطر . وطما : ارتفع تيار موجه . وسجا : سكن قال الله تعالى (والليل إذا سجى) أى سكن ، يقول إنه لم يترك مكانا دون أن يصيبه بالمطر حتى الصحارى البيد فإنها أصبحت بعد أن زارها المطر ووافاها غدقة كبحر لجى ترتفع أمواجه تارة ثم تسكن تارة أخرى .

ذاكَ الجَـدَا لا زالَ مخْصُوصًا بهِ
قَوْمٌ هُمُ للأرْضِ غيْثٌ وجَـدَا(١)

لسْتُ إذا مَا بَهَظتنى غَمْرَةٌ
مَنْ يَقولُ بَلغَ السَّيْلُ الزُّبَى(٢)

وإنْ ثَوَتْ تحتَ ضُلوعِى زَفْرَةٌ
تَمْـلأُ ما بيْنَ الرَّجا إلى الرَّجَا(٣)

---

(١) الجدا : النائل والعطاء ، أو المطر العام الذى يغاث به الناس والدواب والأنعام . يقول إن هـذا الجود الذى نحسبه مختصا بالمطر ، لا يزال إلى الآن قوم مختصين به ، جعلهم الله سبحانه غيوث الأرض وغناها ومفرجى كرباتها

(٢) بهظتنى : شقت على، يقال بهظنى الأمر ان شق على والغمرة الكربة والشدة وهى واحـدة الغمرات . والزبى : جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد فى المكان العالى من الأرض وليس يبلغها إلاسيل عظيم ، وهو مثل تضربه العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر ، ويروى بالراء ، وهوجمع ربوة ، والربوة ما ارتفع من الأرض. وفى الحديث أن عثمان بن عفان رضى الله عنه : لما عاين القتل وأيقن به كتب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أما بعـد يا أبا الحسن فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين فاذا أتاك كتابى فأقبل إلى ، على كنت أم لى ، ثم تمثل ببيت المثقب العبدى وهو .

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فأدركنى ولما أمزق

وهذا تخلص منه ودخول إلى موضوع آخر هو التحدث عن صبره وجلده وأنه لا يستعظم الحوادث . يقول إننى إذا ما شق على الأمر العظيم وآذتنى الكرب والشدائد لا أزعم أن هذه الشدة أوالكربة هى أشد الأنواع بلاء ، بل لا أفزق منها ولا أخافها ، وأستهين بها ، وبشدتها وألزم الصبر على المكاره .

(٣) ثوت : أى أقامت . والزفرة : والزفير ترجيع الصوت بالبكاء وهو أن

نَهْنَهْتُها مَكْظُومَةً حتى يُرى　　مُخْضَوْضِعًا منها الذى كان طغى (١)

وَلا أقولُ إنْ عَرَتْنى نَكْبَةٌ　　قولَ القنوطِ انْقَدَ فى البَطنِ السَّلا (٢)

يمتلىء القلب هما وغما ، والرجا مقصور الجانب .

يقول حالى أننى إذا مـلأت جنبات قلبى الهمـوم والغموم عموت أرجاءه وأقطاره ، جميعا فانى قادر على تصريفها وتفريجها بحكمتى الآتية :

(١) نهنهتها : أى كفكفتها وزجرتها . ومكظومة : أى متجرعة من قولهم كظم غيظـه إذا رده وحبسه . قال الله عـز وجـل (والـكاظمين الغيظ) . والمخضوضع : المتذلل من الخضـوع وهو الذلة . وطغى : كثر قال الله تعـالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) أى فى السفينة وسميت جارية باسم فعلها لأنها جرت وقيل طغى : تكبر وهو المناسب للمخضوضع .

يقول: إننى أزجرهذه الزفرات وأرغمها على الابتعاد منى حتى أن ألهم العظيم الجارف والغم الطاغى المستبد يرى مسـتذلا خاضعـا لا يؤثر فى شيئا ولا يذهب بصبرى أو يغير شيئا من طبيعتى .

(٢) عرتنى : واعترتنى واحد ، أى أصابتنى ، قال الله عز وجل (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) والنكبة : المصيبة وجمعها نكبات . والقنوط : اليائس قال الله تعالى (لاتقنطوا من روح الله) أى لا تيأسوا . وانقد : أى انقطع . والسلا : بفتح السين المشيمة التى تتعلق بالولد وتسقط معه وهذا مثل تقول العـرب إذا بلغ أحدهم فى الكرب غايته قال انقد فى البطن السلا ، والسلا إذا انقد فى بطن المرأة هلـكت .

يقول : إننى كثير الاحتمال للنوائب التى تصيبنى لا أشكو ولا أقنط فأقول مقالة

قدْ مارَسَتْ مِنِّى الخُطوبُ مارِسًا يُساوِرُ الهَوْلَ إذا الهَوْلُ عَلا (١)

لِىَ التِواءٌ إنْ مُعادِىٌّ التَوَى ولِىَ اسْتِواءٌ إنْ مُوالِىَّ اسْتَوى (٢)

طَعْمِىَ شَرْىٌ للعَـدُوِّ تارَةً

والرَّاحُ والأَرْىُ لِمَنْ وُدِّى ابْتَغى (٣)

اليائس الذى يصيبه مصيبة فيقول انقد السلا فى بطنى جزعا وفرقا من الهلاك

(١) قد مارست : أى عاركت وضاربت . والخطوب : الأمور الشدائد واحدها خطب . والمارس : الشديد وهو صفة ولعلها محرفة عن فارس فان المارس لم يرد بهذه الصيغة . ويساور الهول : يغالبه ويطاوله ويلاصقه ، قال الشاعر :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

والهول : الشدة وجمعه أهوال . وعلا : ارتفع .

يقول : إن الخطوب والأحداث عركتنى وعجمتنى فوجدتنى صلب العود فارساً شجاعا لا يتطرق اليأس إلى عزيمته ، ولا يعرف الخور والضعف سبيلا إلى قلبه ، يتلقى الأهوال الفادحة بثبات ويغالبها ويغلبها . وإن الخطوب لتعرف ذلك فى ، لكثرة ما جربتنى .

(٢) لى التواء : أى انعواج . والمعادى : العدو . والموالى : الصديق الذى يواليه أى يصادقه . واستوى : اعتدل .

يقول : إننى أعامل الناس بالطرائق التى تلائمهم والتى يعاملوننى بها ، فأعوج مع أعدائى وأقسو عليهم ، وأعتدل مع موالى وأصدقائى وألين لهم .

(٣) الطعم : المذاق . والشرى الحنظل . وتارة : حينا : والأرى : العسل

لَدْنٌ إذا لُوينْتُ سَهْـلٌ مَعْطِفِى
أَلْوَى إذا خُوشِنْتَ مرْهُوبَ الشَّـذا (١)

يَعْتَصِمُ . الحِـلْمُ بِجَنْبِي حَبْوَتِى
إذا رِياحُ الطَّيْشِ طـارَتْ بالحُبَى (٢)

الأبيض . والراح : الخمر . والود : الوداد . والمودة : المحبة : وابتغى : طلب قال الله جل ذكره (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)

يقول : إن طعمى مر المذاق لأعدائى حين يرومون ضرى والايقاع بى وهو كالراح والعسل للذين يبتغون ودى ويطلبون عطفى ومصافاتى .

(١) اللدن : اللين الرطب : ومعطفى : أى رجوعى . ولوينت : أخذت باللين وضده خوشنت : أى أخذت بالخشونة وهى الصعوبة : وألوى : شديد الخصومة . وخوشنت : صورعت . ومرهوب : مخوف ومنه قوله جل ذكره (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى خوفا : والشذا : الحدة مقصور وقيل الشذا : الأذى وكتابته بالألف : يقول إننى لمن يلايننى منقاد له ومتابع وإذا غضبت منه فاننى مع النزول عن غضبى سهل الانعطاف ، أما اذا عوملت بخشونة فاننى أكون خصما شديداً تخاف شدته وترهب :

(٢) يعتصم : أى يتعلق ويتمسك: بجنبى: أى بناحيتى: والحبوة: شد الازار على الركبتين والظهر ولا يعرف الاحتباء إلا للعرب والهند ، يقال احتبى الرجل إذا اشتمل بردائه فى وسطه : وقيل الحبوة أيضا أن يضم الانسان نفسه قاعدا بثوبه أو بيده ، والحبى : جمع حبوة مثل كدية وكدى: والطيش : خفة العقل يقال طاش السهم يطيش طيشا إذا خف ولم يقصد الغرض ومنه قول الشاعر

لو كان لى قرن أناضـله ... ما طاش عند حفيظة سهمى

لا يَطبِّينى طَمَعٌ مُدنِّسٌ   إذا اسْتَمالَ طَمَعٌ أو اطَّبى (١)
وقدْ عَلَتْ بى رُتَباً تَجارِبى   أَشْفَيْنَ بى منها على سُبْلِ النُّهى (٢)
إنَّ امرُؤٌ خِيفَ لإفراطِ الأذى   لم يُخْشَ منِّى نَزَقٌ ولا أذى (٣)

يقول إننى أحلم جدا عند الأزمات التى تطير بالصواب وتقيم الناس وتقعدهم وتوقعهم فى هرج ومرج حتى كأن الحلم يلزمنى ويجالسنى جنبا إلى جنب

(١) لايطبينى . أى لا يستميلنى ويدعونى . والطمع : الحرص والرغبة : ومدنس : موسخ والدنس الوسخ . إذا استمال : قاد وجذب : يقول إذا برقت العيون للأموال ولعبت بالعقول الأطماع فإننى لا أميل إلى الطمع الشديد الاغراء لأن الطمع يدنس المروءة ويشين أصحاب الفضل .

(٢) قد علت : أى ارتفعت . ورتباً : منازل ودرجات وهى جمع رتبة . والتجارب . جمع تجربة وهى الاختبار ، تقول جربت الرجل إذا اختبرته فهو مجرب أى مختبر . وأشفين بى . أى أشرفن بى ، يقال أشفيت على الشىء إذا أشرفت عليه وانتهيت إلى طرف منه ، وقيل معنى أشفين بلغن بى الشفا أى الغاية وقيل معنى أشفين بى : عرفننى ، وكل هذه المعانى متقاربة والسبل : الطرق واحدها سبيل . والنهى . العقول قال الله تعالى (إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) يريد أنه جرب الأمور بتجارب كثيرة فارتفعت به إلى مراتب عالية ووقفت به عند الغايات التى يصبو إليها العقلاء . يقول : إن تجاربى للحياة واختبارى للناس رفعتنى عنهم وعلت بى إلى رتب سامية بلغت فيها نهايات سبل الرتب العالية

(٣) الافراط : أن يبلغ الأمر فوق حده ، والمبالغة فى الشىء وإن شئت قلت الافراط العجلة . والنزق : الخفة يقول إن كان الناس يفرقون من شدة الايذاء ويخافون ، فانهم لا يخافون منى خفة وطيشا ولا يخشون أن ينالهم

مِنْ غيرِما وَهْنٍ ولَـكنى امْرَؤٌ أَصُونُ عِرْضاً لم يُدنْسْهُ الطّخا (١)

يَصونُ عِرْضَ المَرْءِ أنْ يَبْذُلَ ما ضَنَّ بهِ ممّا حَواهُ وانْتقى (٢)

والحَمْدُ خيرُ ما اتّخذْتَ عُدَّةً وأَنْفسُ الأَذْخارِ منْ بعْدِ التّقى (٣)

أذى منى بادىء بدء فانى وإن أكن مرهوب الجانب فلا أسىء لمن لم يقصد إساءتى ولا أبتديه ولا أبتديه بالشر من غير ضعف منى.

(١) الوهن : الضعف قال الله العزيز (إنى وهن العظم منى) أى ضعف ولم يدنسه : لم يوسخه . والطخا : العيب ويقال الحبل . أصون : أحفظ والصيانة الحفظ ، والطخا ممدود فقصره . يقول إن عدم تعرضى لأذى الناس وعدم خشيتهم الأذى منى ليس لضعف فى ولا خور ، ولكنى أحافظ على شرفى وعرضى المصون .

(٢) الصون : الحفظ . أن يبذل ما ضن به : أى بخل به ، وحواه : جمعه . وإن شئت قلت حازه وملكه . وانتقى : اختار يقال انتصاه ينتصيه واجتباه يجتبيه واعتماه يعتميه وفيه لغة أخرى اعتامه يعتامه قال الشاعر:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

يقول : إن حفظ الأعراض وصيانتها لا يكون بغير الجود وبذل ما يحويه ويملكه من كرائم المال المضنون بها يصف نفسه بالكرم والجود

(٣) اتخذت : أى اكتسبت . وعدة : عمدة . وأنفس : أعلا وأغلا وأرفع والأذخار : جمع ذخر وهو المرفوع يقال ذخرت الشىء أى رفعته وخبأته ومنه قولهم أنت ذخيرتى للدهر . والتقى: مخافة الله عز وجل . يقول إن حمد الناس وشكرهم وثناءهم عليك خير عدة ودريئة تتخذها لشدتك ولآخرتك وتتقى بها عذاب الله وذلك أنفس ذخر بعد تقوى الله سبحانه وتعالى

وكلُّ قرنٍ نَاجمٍ في زَمنٍ   فهوَ شَبيهُ زمنٍ فيــه بدا(١)

والنّاسُ كالنبتِ فمنهُمْ رائقٌ   غضٌّ نَضيرٌ عودُهُ مُرُّ الجَنى (٢)

---

(١) يقول . كل قرن: أي كل أمة فالقرن بالفتح الأمة وناجم :مرتفع يقال نجم الشيء إذا طلع وارتفع . وقوله فهو شبيه زمن فيه بدا : أي كل أمة طلعت في زمان فتلك الأمة مشبهة للزمان الذي نجمت فيه أي نشأت فيه ، وهذا مأخوذ من الحديث الذي ورد « الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم » والقرن في غير هذا الموضع الوقت من الزمان وزعم قوم أنه أربعون سنة وزعم قوم أنه ثمانون سنة وقال قوم هو مائة سنة ، واختار بعض أهل اللغة هذا لما جاء وصح في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح بيده على رأس غلام ثم قال له عش قرناً فعاش مائة سنة . وروى كل قرن بكسر القاف وهو النظير والتقدير وكل رجل نشأ في زمان فهو شبيه بالزمان الذي نشأ فيه لأن الرفيع لا يرتفع إلا في الزمان الرفيع والساقط لا يرتفع إلا في الزمان الساقط ، وبدا : بغير همز ظهر . يقول إن أهل كل قرن وعصر يشبهون العصر الذي عاشوا فيــه لأن الزمن يوصف بما عليه أهله من فساد أو صلاح . قال :

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

(٢) النبت والنبات واحد :وهو ما نبت أي خرج من الأرض فمنه. رائق: أي معجب . والغض : الطري الأخضر الناعم . وكذلك النضير أيضا قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة) أي ناعمة . والجنى :ما اجتنى من الثمر أي قطف وهو مفتوح الجيم مقصور . يضرب للناس مثلا بالنبات وأنواعه ترى نوعا منه بهيجا غضا نضيرا إذا ذقت طعمه وجدته مرا ويظهر هذا في أنواع الورود فان زهرتها

ومنه ما تقتحمُ العينُ فإنْ ذُقتَ جَناهُ انساغَ عذْباً فى اللَّها (١)
يُقوِّمُ الشارخُ منْ زَيغانِه فيستوى مَا انعاجَ منهُ وانحَنى (٢)
والشيخُ إنْ قوَّمتَه مِنْ زيغِه لمْ يُقمْ التثقيفُ منهُ ما التوى (٣)

تكون نضيرة اللون مشرقة الحسن وشجرة الحنظل فان ثمرتها تسر العين بخضرتها وتعجبها باستدارتها مع شدة مرارتها .

(١) تقتحم العين : أى تتركه كرها له وتعدوه إلى غيره . فان ذقت جناه . أى ما اجتنى منه . انساغ : أى سهل بلعه ، عذبا : أى حلوا . واللها : بفتح اللام جمع لهاة وهى اللحمة المتعلقة بأصل الحنك ، واللهى بالضم جمع لهوة وهى المال والعطية والأصل فى اللهوة بالضم ما يجعله الطاحن فى فم الرحى ليطحن الواحدة لهوة ولهية . أى ومن النبات نبات تزدريه عينك ولا يروقك منظره ولا يعجبك شكله ليس له نضرة ولاحسن باهر ولكن طعمه جميل ، وهذا يتحقق فى العنب والفرصاد والشليك .

(٢) الشارخ : الشاب الحدث المستقبل للشباب ، وشرخ الشباب أوله . زيغانه : بالزاى والغين ميله يقال زاغ الشىء إذا مال يزيغ زيغا قال الله جل ذكره (وإذ زاغت الأبصار) أى مالت . وقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وانعاج: انعطف . وانحنى : مثله . يقول إن التربية والتعليم لا يصلحان ولا يثمران إلا فى عهد الشبوبية والحداثة .

(٣) قوله من زيغه : أى من ميله . لم يقم : لم يعدل ولم يقوم . التثقيف : التقويم . وما التوى : أى ما تعوج . يقول إن التربية والتثقيف فى زمن الشيخوخة لا تفيد ولا تنفع ولا تقيم المعوج وتصلح الزائغ .

كذلكَ الغُصنُ يَسيرٌ عَطفُه ... لدْناً شـديدٌ غَمزُهُ إذا عَسا (١)

مَنْ ظَلَمَ النّاسَ تحامَوْا ظُلمَهُ ... وعَزّ عنهُمْ جانبـاهُ واحْتمى (٢)

وهُمْ لمنْ لانَ لهُمْ جانِبُهُ ... أظلمُ منْ حيَّاتِ أنْباثِ السّفا (٣)

---

(١) كذلك الغصن : أي الفرع . ويسير : سهل . وعطفه : رده . واللدن : اللين . والغمز هنا : اللمس باليدين ، والتقويم . وعسا . صلب ، ويروى عتا بتاء بنقطتين من فوق ومعناه أيضا صلب . رجع إلى تشبيه الناس بالنبـات فان الغصون المعوجة تكون سهلة الانعطاف والرجوع عن الميل وهى ناشئة غضة طرية فاذا صلبت واشتدت لم يمكن عطفها إلا بشدة .

(٢) ظلم الناس : تعدى عليهم وأضر بهم وأصل الظلم وضع الشىء فى غير محله ، وزعم قوم أن الظلم إنما هو أخذ الإنسان ما ليس له ، ومنه قولهم من شابه أباه فما ظلم ، أى من كان على مثال أبيه فى حليته أو قوله أو فعله فما تعدى الحق ولا أتى بظلم . لأن الخروج عن الطبع ليس فى قوته ولا استطاعته وهو إن أتى بظلم فانه ليس بملوم وإنما الملوم أبوه الذى ورثه تلك الفعلات لما وضع الشبه فيها له ، وهذا يرجع إلى ما قلناه إنه وضع الشىء فى غير موضعه . وتحاموا ظلمه : تباعدوا عنه وامتنعوا منه . وعز عنهم : امتنع عنهم ، والعزة القوة ، والشدة : ومنه قولهم إذا عز أخوك فهن ، ومنه قول الله عز وجل (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى الخطاب ، ونحوه قوله جل ذكره (ليخرجن الأعز منها الأذل) أى ليخرجن القوى منها الضعيف وجانبه : ناحيته . واحتمى امتنع . يقول : إن الناس لا يترفعون عن الظلم ويتحامون عنه إلا إذا ظلمتهم ولا تصبح عزيزاً لديهم مرهوب الجانب إلا إذا أخفتهم .

(٣) ولان : ضعف وسهل . والأنباث : التراب المستخرج من البئر ، يقال

عَبيدُ ذى المالِ وإنْ لمْ يَطْمعوا   مِنْ غَمْرِهِ فى جَرعةٍ تَشْفى الصدى (١)

نبث ينبث إذا حفر واسم الفاعل نابث ونباث مبالغة قال الشاعر :

يهيل ويذرى تربها ويثيره   إثارة نباث الهواجر مخمس

أى مستخرج للتراب . والسفا : هنا التراب ، وهو ما تسفيه الريح أى تحمله وترمى به ، وقيل السفا تراب القبر ، والسفا فى غير هذا شوك البهمى وشوك السنبل . يقول إن طبيعة الناس أنهم شديدو الظلم لمن لاينهم وكانت معاملته لهم بالحسنى وإنهم لفى معاملتهم للين لأشد ظلما من الحيات التى تسكن الحفر والأماكن الترِبة ، إذ أن هذه الحيات لا تصادف شيئا تمر به إلا أصابته بسمها فمات . أقول إننى صادفت فى مسكن لى كثير العفر والتراب شيئا من هذه الصلال ثعبانا أو حية حاولت قتله فاختفى وأنا أبحث عن هراوة أو مشبهها فلم يقر لى قرار خوفا على نفسى وصغارى ، ثم ذكرت قول العامة إنها لا تؤذى ما لم تؤذ ، فتركتها فصرت بعد ذلك أحس دبيبها واسمع صفيرها فأتركها وشأنها وهى لم تؤذنى والحمد لله ولا اعلم ما الله فاعله ، ولولا مشكلة المساكن وعزتها فى هذه السنين لتركت هذا البيت .

(١) الغمر : الماء الكثير الذى يغطى من دخله ، وهو ههنا العطاء ، يقال غمر اى واسع الخلق كثير العطاء . والجرعة : القليل من الماء مثل الحسوة . وتشفى : تبرى . والصدا : العطش وهو مصدر صدى يصدى صدى . يقول إن الناس يتبعون ذا الغنى كأنهم عبدان له وخول ، حتى ولو كان بخيلا ممسكا لا يرجى من وراء ماله الكثير جرعة تروى صاديهم وتشفى ظامهم ، وإنى وأيم الله رأيت بعض العلماء ليلقى هذه الأولى من رجب سنة ١٣٧٠ هجرية فى حضرة فظ جاهل ولكنه غنى وهو مع ذلك بخيل شديد الإمساك يملك متجرا فى أحسن بقعة من بقاع القاهرة دعيت إلى حضرته مرتين ما رأيته فيهما بل لماه

وهُمْ لمنْ أمْلقَ أعْـداءٌ وإنْ   شارَكَهُم فِيما أفادَ وحَوَى (١)
عاجمتُ أيّامى وَما الغِرُّ كَمنْ   تأزّرَ الدّهْرُ عليْهِ وارْتَدَى (٢)

واحد من جلسائه ، ثم رأيته يتطاول على العلماء منهم بلسانه ويبالغ في تسفيههم والحط من كرامتهم بجارح القول وبذيئه ، يقرأ القرآن فلا يساعده جهله على أدائه بدون لحن وهو مع عاميته يؤول فى القرآن ويفسر معانيه وأبى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأنها سمجة فى نظره ويقول استعذ بالله (كذا) لخفتها على اللسان ولأن الله يقول فاستعذ بالله . أما أعوذ بالله فى نظره فانها مثل قل أعوذ . مد بوزو . فى الخزانا . كل غدانا . من ورانا ولقد حاولت زجره فلم ينزجر ، وأردت تقويمه فازداد عوجا ، جلست وأنا أعجب منه وعجبى من هؤلاء العلماء أشد ، وإذا هذا التطاول اللسانى يزيد إلى تطاول بالعصا ، فعند ذلك قلت للجاهلين سلاما ، وخلت مجلسه جهنم عذابها كان غراما . فرحم الله ابن دريد فكأنما عنى علماء عصرنا هذا وناسه بهذا البيت .

(١) أملق : افتقر والاملاق الفقر قال الله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) أى فقر ومنه رجل مملق أى فقير ، وكذلك مخفق وصعلوك ومقتر ومصرم ، والمصرم الذى ذهبت إبله ورجل سبروت أيضا وامرأة سبروتة وسبريتة وقوم سباريت وكذلك قرضوب وقرضاب أى فقراء . وأفاد : اكتسب يقال أفاد الرجل مالا إذا كسبه . وحوى ملك وجمع . يقول إن معاملة الناس للفقير المملق على النقيض من معاملتهم للغنى فهم يعادونه ويفرون من مساعدته ومجالسته . ولو تمسك بعرى الجود . وقاسمهم ما لديه من كل موجود .

(٢) عاجمت أيامى : أى ماضغتها يقال مضغتنى ومضغتها وعركتنى وعركتها والغر : الذى لم يجرب الأمور . وتأزر : من الازار كأنه يريد أنه جرب الدهر

لا يَرْفعُ اللبُّ بلا جَدّ ولاَ يحُطُّكَ الجَهْلُ إذا الجَدُّ علا (١)
مَن لمْ يعظْهُ الدَّهرُ لمْ يَنفعْهُ ما راحَ بهِ الوَاعظُ يوْماً أوْ غدا (٢)

حلوه ومره فكأن الدهر تغلب عليه بأحواله حلوها ومرها . يقول إنى رجل مجرب ذقت حلو الدهر ومره ، وبلوت يسره وعسره . وصادفت خيره وشره . فأنا أعلم بدهرى وأيامه وصروفه وأحداثه لأن الدهر ألبسنى منها أثوابا وكسانى من أحداثه أردية وما يستوى المجرب وغير المجرب . كما لا يستوى العالم وغير العالم . وهو إنما يفهمك أنه مجرب ليحملك على العمل بوصاياه الآتية ويقنعك بضرورة تصديقها والإفادة منها .

(١) لا يرفع اللب : هو من الرفعة أى لا تعلو منزلته ، ويروى لا ينفع من النفع الذى هو ضد الضر ، واللب : العقل وجمعه ألباب ، والجد : بالفتح الحظ والبخت . ولا يحطك الجهل . أى لا ينزلك ولا يسفلك ، ويروى ولا يحبطك الجهل أى لا يبطل حظك ولا يسقط رفعتك ، ومنه قوله جل ذكره (وأحبط أعمالهم) أى أبطلها . إذا الجد علا : أى إذا السعد ارتفع . يقول إن الجد وهو الحظ والنصيب هو المعول عليه فى كل ما يصيبك من خير أو شر فان كنت لبيبا فانك لن تدرك الشأو الذى ترومه إذا لم يصحبك الجد . وإن كنت جاهلا خاملا وواتاك حظك ارتفع ذكرك ونبه أمرك وعلا صيتك ولله در الشاعر إذ يقول:

لا تطلبن بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السماء كان السما كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

يريد السماك الرامح والسماك الأعزل وهما منزلتان فى السماء من منازل القمر فان كلا من السماكين سكن السماء ولم ترفع الرامح آلته ولا رمحه ولم يخفض الأعزل كونه بلا رمح فقد بلغا هذه المنزلة بحظهما لا بآلتهما .

(٢) من لم يعظه الدهر : أى من لم يبصره . وراح : أتى بالعشى . واغتدى

مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبَراً أَيَّامُهُ كانَ العَمى أَوْلى بِهِ مِن الهُدَى (٢)

مَنْ قاسَ ما لَمْ يَرَهُ بِمَا يَرى أَرَاهُ ما يَدْنُوا إِلَيْهِ ما نَأَى (٣)

مَنْ مَلَّكَ الحِرْصَ القِيادَ لَمْ يَزَلْ يَكْرَعُ في ماءٍ مِن الذُّلِّ صَرَى (١)

أتى بالغدو . يقول إن مواعظ الواعظين التى يكررونها على الأسماع ليل نهار وصباح مساء وغدوة وعشياً لا تنفع الناس شيئا ولا تجعلهم يفيدون منها بخلاف موعظة الدهر وتعاليمه فانها أثبت وأنجع وأفعل فى النفوس

(١) من لم تفده : أى تكسبه مأخوذ من أفاد يفيد إذا أكسب . والعبر : جمع عبرة وهى التذكرة . والعمى : هنا عمى القلب وهى انطماس ذكائه . والهدى القصد إلى الصواب . يقول إذا كانت الأيام الممتلئة بالعبر والحوادث البليغة لا تفيد رؤيتها الشخص ، فلا قيمة لعينيه اللتين يرى بهما الحادثات والفاجعات ولا لقلبه وسمعه وإذا لم يتقدم للخير بها ويسترشد فانه سيزداد ضلالا .

(٢) قاس : من مثل ، والقياس فى اللغة التمثيل ، وحده عند الأصوليين حمل أحد المعلومين على الآخر بمعنى يجمع بينهما ، وقيل : رد فرع إلى أصل فى بعض الأحكام بمعنى يجمع بينهما ، وقيل : رد فرع إلى أصل فى بعض الأحكام بمعنى يجمع بينهما ، وقيل رد الشىء فى الحوادث إلى نظيره أصله الذى يقاس عليه . ويدنو : يقرب . وما نأى : مابعد يقال نأى ينأى نأيا . يقول : من كان عاقلا عارفا بالأمور تبين له ما غاب عنه بما ظهر له بقياس عقله وحسن رأيه وأدبه يقول إن العاقل يجب أن يقيس الغائب بالحاضر والنائى بالقريب والحاضر بالماضى فاذا صنع الإنسان ذلك انكشف لقلبه وعينه المغيبات وشهد مالم يقع قبل وقوعه فتلافى الشر ونجا منه.ولم يقع فريسة البلاء والمحن .

(٣) الحرص:الاجتهاد فى طلب كل مرغوب فيه مع كثرة الموانع منه ، يقال حرص يحرص فهو حريص . والقياد : الطاعة من قولك قدت الدابة فانقادت لى

مَنْ عارضَ الأطماعَ باليأسِ رنَتْ إليهِ عينُ العزِّ من حيثُ رَنا(١)

مَنْ عطفَ النفسَ على مكروهِها كانَ الغنى قرينَه حيثُ انتوى(٢)

مَن لمْ يقفْ عندَ انتهاءِ قدْرِه تقاصرَتْ عنهُ فسيحاتُ الخُطا(٣)

أى أطاعتنى . ويكرع : يخوض أو يشرب . والصرى : الماء الدائم الذى قد طال مكثه فتغير فيه ، والصرى من اللبن أيضا ما طال مكثه فى الضرع ولم يحلب ، والصرى جمع والواحدة صراة ويقال شاة مصراة إذا حلبت كل ثلاثة أيام حلبة ، وحكى الفراء صرت الناقة وصريت لغتان فعت وفعلت وأصل التصرية الجمع . يقول إذا جعل الإنسان للحرص عليه سلطانا وصير نفسه للطمع ميدانا وأسلس له القيادة فانه يعيش ما عاش مهاناً ذليلا يتجرع مرارة الهوان والذلة قال :

تعالى الله ياسلم بن عمرو يذل الحرص أعناق الرجال

(١) الأطماع : جمع طمع . واليأس : انقطاع الرجاء . ورنت : نظرت والمراد بعين العز العز نفسه . يقول فأما الذى يحمل نفسه على الزهد والغنى عما فى الأيدى من حطام هذه الدنيا ولا يطمع فى شىء منها فانه يكون بمحل منيع ومركز رفيع ومكان سام مرتفع لا يرام تنظر إلى عليائه عيون العز يريد أن من لم يطمع فى الدنيا طمع العز فيه وتعلق به ورنّى بنظره إليه وتطلع إلى أن يكسوه بأثوابه ويغشيه بأرديته .

(٢) عطف : أمال ورد . وكان الغنى قرينه : أى صاحبه . وحيث انتوى : حيث بعد ، وهو من النوى أىّ البعد ، جاء على بناء افتعل . يقول إن من ألزم نفسه الرضا بما يصيبه مع كراهته وغضاضته أصبح غنيا يرافقه الغنى أنى سار وحط رحاله . فان الرضا هو السعادة وهو أبلغ الغنى .

(٣) انتهاء قدره : غاية قدره . وتقاصرت : قصرت . وفسيحات . واسعات

مَنْ ضَيَّعَ الحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِهِ نَدامَةً أَلْذَعُ مِنْ سَفْعِ الذَّكا(١)

فسيحة أى واسعة . والخطا : جمع خطوة ، وكتابته بالألف لأنه يرجع إلى الواو فى قولك خطوات فى الجمع وخطوات إذا رددت الفعل إلى نفسك وبخطو فى المستقبل . وهذا البيت مرتب على الأبيات السابقة فهو يقول إذا سمح الإنسان لأمانيه وآماله أن تمتد وتتجاوز مقدار حاجته منها أكد نفسه وأتعبها وجرى فى ميدان الشقاء والتعب فهما سعى وكد وتعب فان آماله لن تتحقق لأن خطاه على سعتها ستقصر عن نيل غاياته

(١) ضيع : ترك . والمضيع التارك ، والحزم : الاحتراس فى الأفعال والاستعداد للأمور قبل وقوعها . وجنى لنفسه ندامة : أى قادها إليها كما يجنى الثمرة أى يجمعها ويقطعها ، ويجوز أن يكون جنى بمعنى جر على نفسه ندامة فتكون اللام فى نفسه بمعنى على ، وندامة : حسرة وتأسفا . وألذع : أشد حرقة والسفع : الاحراق . والذكا : التهاب النار مقصور يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو . يقال ذكت النار تذكو ذكوا ، وأما الذكاء من الفهم فممدود ، وكذلك الذكاء بمعنى السن من العمر .

والذكاء مضموم الأول ممدوده اسم الشمس ، ويقال للصبح ابن ذكاء وهو غير مصروف لعلتين التأنيث والتعريف قال الراجز :

وردته قبل انفلاج الفجر وابن ذكاء كامن فى كفر

يعنى أن الصبح كامن فى سواد الليل لأن الكفر فى اللغة التغطية فكأن سواد الليل كفر الصبح أى غطاه . يقول : عليك بالحزم فى أمورك كلها فلا تفعل شيئا دون ترو ولا فكر لئلا يكون عاقبة أمرك الندم الشديد المرير اللاذع البالغ فى شدة لذعه شدة لذع النار وإحراقها .

مَنْ ناطَ بالعُجْبِ عُرى أخْلاقِهِ   نِيطَتْ عُرى المَقتِ إلى تلكَ العُرى (١)

مَنْ طالَ فوقَ مُنتهى بَسْطَتِهِ   أعْجَـزَهُ نيلُ الدُّنا بلْهَ القُصا (٢)

---

(١) ناط : علق وألصق ، يقال : ناط فلان الشيء ينوطه نوطا فهو نائط والشيء منوط أي معلق ، والنياط عرق غليظ علق به القلب وجمعه أنوطة فترد الياء إلى الواو لأنها في النياطة مبدلة من واو ، وعرى : جمع عروة وهو ما يتمسك به أي يتعلق به . وأخلاقه : طبائعه ، ونيطت : علقت ، والمقت : أشد البغض يقال فلان مقيت وممقوت ، يقول من ألزم العجب نفسه وجعله طبيعة له قرن ذلك العجب بشدة البغض له . يقول إنك إذا أعجبت بنفسك وأعمالك وتعاليت بذلك على الناس لازمك المقت منهم والازدراء وكرهوك فان المقت والكره مصاحب للعجب والتعالي .

(٢) طال : ارتفع . والبسطة الفضلة يفضل بها الإنسان على غيره ومنه قول الله تبارك وتعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) . وأعجزه نيل الدنى : أي أضعفه وقصر به وقيل فاته . والنيل : الإدراك . والدنى جمع الدنيا وهو الشيء القريب . والقصا : جمع القصوى وهو الشيء البعيد ، قال الله جل ذكره (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) وبله : بمعنى غير ، وقيل بمعنى دع ، وفي الحديث « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه » يريد غير ما اطلعتم عليه ، فاذا كانت بمعنى غير كان ما بعدها مخفوضا على الإضافة ، وإذا كانت بمعنى دع كان ما بعدها منصوبا مفعولا ببله لأنها تضمنت معنى دع كما تقول دع زيدا وأنشد النحويون قول الشاعر :

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها   بله الأكف كأنها لم تخلق

مَنْ رامَ ما يَعجِزُ عنهُ طوقُهُ ... م العِبْءِ يوماً آضَ مَجْزُولَ المطا (١)

والناسُ ألفٌ منهمُ كواحدٍ ... وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عَنَى (٢)

معناه تفعل هذا فى الجاجم فضلا عن الأكف فانها تتركها كأنها لم تخلق أو غير الأكف وكذلك يقول ابن دريد رحمه الله من طال إلى ما فوق قدره أعجزه نيل الدنى وهى الأمور القريبة بله القصا فانك لا تدركها إذا لم تدرك القريب .

يقول : إن لك أيها الانسان حداً تنتهى اليه فاذا رمت أن تعلو عنه عجزت عن تجاوز القليل الدانى فضلا عن القصى العالى .

(١) رام : طلب. وما يعجز : أى ما يقصر عنه . وطوقه : طاقته يقال طاقة وطوق بمعنى القوة قال يزيد بن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما لما حضره الموت :

إن تعذب يكن عذابك يارب غراما لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب عفو عن مسىء ذنوبه كالتراب

والطوق أيضا فى غير هذا حلى يجعل فى العنق وكل شىء استدار فهو طوق. وقوله ملعبء :أصله من العبء فحذف النون والألف ووصل الكلام، والعبء : الثقل ، وجمعه أعباء . وآض : رجع . والمجزول :المقطوع والجزلة من اللحم القطعة منه ، والمطا : الظهر . يقول إنك إذا حاولت إدراك ما تنوء به قوتك ولا يحمله عبئك وطاقتك فان حالك تؤول إلى العجز عن بلوغ أربه ، والتقصير عن إدراك طلبه ، فيلحقه الكلال والنصب كمن قطع ظهره،وفى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

(٢) إن أمر عنى : أى عرض ، وقد يكون من العناء وهى المشقة ، ويقال أيضاً عنانى الأمر إذا لزمنى ، يقول إن الناس عند الأزمات والكروب لا تغنى كثرتهم ولا تنال مساعدتهم ولا يرجى عونهم فألف منهم كواحد ، وصدر هذا البيت معنى حديث « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة »

وللفتى مِنْ ماله ما قدّمتْ يداهُ قبلَ موته لا ما اقتنى (١)
وإنّما المرءُ حديثٌ بعده فكُنْ حديثاً حسناً لمنْ وعى (٢)
إنى حلبتُ الدهرَ شطرَيْه فقدْ
أمرَّ لى حيناً وأحياناً حلا (٣)

---

(١) اقتنى . اكتسب ، وقيل ادخر قال الله عزوجل(وأنه هو أغنى وأقنى) أى أعطى ما يدخر . يقول فى الحض على بذل المال والجود والنهى عن اكتنازه وتصغير شأنه . إن الانسان إذا مات لم ينفعه ماله الذى جمعه ولا يغنى عنه شيئا فى الحساب وإنما ينفعه ما تصدق به وتقرب به إلى الله عز وجل واتقى به النار .وفى هذا المعنى ورد الحديث القدسى « ياابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فوزره عليك » .

(٢) لمن وعى . أى حفظ يقال وعى يعى وعيا قال الله عز وجل(وتعيها أذن واعية) ويقال وعى جمع وبهذا فسرت الآية . يقول فى الحث على عمل الخير وتخليد الذكر الحسن إن الانسان صورته وهيكله سيذهب بالموت وتبقى أعماله أحاديث تنطق بالذى صنعه من خير أو شر . هو يفنى ويعود ترابا ولكن ذكره وسيبقى فى أفواه الناس تجرى به ألسنتهم فان كان خيرا صالحا ذكروه بالخير وترحموا عليه وإن كان شريرا طالحا ذكروه بشر وامنوه .

(٣) حلبت الدهر . أى جربته . وشطراه . نصفاه .وهذا مثل،وأراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه فلذلك ثناه تقول شطرت الشىء إذا جعلته نصفين فهذا صرف منه فعل ، وأما الشطر الذى هو القصد فلا يستعمل منه فعل قال الله عز وجل (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى قصده وتلقاه يقول إنه عرف الدهر ومرت به أحداثه وخطوبه وأفراحه وأتراحه وحلب شطرى

وفُرَّ عَنْ تَجْرِبَةٍ نابى فقُلْ   فى بازِلٍ راضَ الخُطوبَ وامْتَطى (١)

والنَّاسُ للمَوْتِ خَلاً يَلْسُهُمُ   وقَلَّ ما يَبْقى على اللَّسِّ الخَلا (٢)

عجبتُ من مُسْتَيْقِنٍ أنَّ الرَّدى   إذَا أتَاهُ لا يُداوَى بالرُّقَى (٣)

الدهر وصرى ضرعيه فذر له المرحينا وحلا حيناً : وربما فهم من قوله أحيانا أن حلاوته كانت أكثر من مرارته وغضاضته وأن أيام سعادته تربو على أيام شقوته .

(١) وفر عن تجربة نابى : أى كشف عن أمرى وهذا مثل مأخوذ من قولهم فر عن الدابة إذا فتح فاها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها . والناب : الضرس الذى يلى الرباعية ، وراض الخطوب : أذلها يقال رضت الفرس إذا ذللته والبازل من الابل الذى أتت عليه تسعة أعوام ، والخطوب : الأمور النوازل واحدها خطب ، وامتطى : الدابة ركبها وجعلها مطية . يقول إننى مارست الأمور وبلوتها وعرفنى الزمن بتجاربه وعركنى وابتلانى ليجربنى فوجدنى صلباً كأننى بعير بازل قوى راض الخطوب وأذلها فهانت لديه وذلت صعابها وسيطر عليها .

(٢) الخلا : الحشيش الرطب . يلسهم : يأكلهم ، واللس أن تأخذ الماشية الخلا الرطب بمقدم فيها يقال فى تصريفه لست الدابة الخلا تلسه لسا فهى لاسة إذا أخذته بمقدم فيها ، وهذا مثل مضروب للموت والناس . يقول إن الموت يرعى الناس ويفترسهم كما تأكل الدواب الحشيش الرطب وترعاه ، فكما أن الخلا لا يبقى على الرعى والأكل كذلك الناس لا يدومون مادام الموت يتعقبهم .

(٣) مستيقن : عالم . والردى : الهلاك قال الله عزوجل (واتبع هواه فتردى) وتصريفه ردى يردى ردى . والرقى : جمع رقية وهى تلاوة أدعية و آيات من القرآن للشفاء من العلة وهى جائزة شرعا : يقول إننى أعجب ممن أيقن أن الرقية

وهْوَ مِن الغَفلَةِ فى أهوِيةٍ   كخابطٍ بيْنَ ظلامٍ وعَشا (١)

نحنُ ولا كُفرانَ للهِ كما   قدْ قيلَ للسَّاربِ أخْلى فارْتعى (٢)

والسحر وما شابههما لا تدفع الموت عن نفسه ، ثم هو مع ذلك يسترق يريد أن رقيته تنفى إيمانه ويقينه .

(١) الأهوية : الغامض من الأرض وهى الحفرة التى يضيق أعلاها ويتسع أسفلها . والخابط : الذى يمشى ليلا بغير مصباح فربما وقع فى بئر أو سقط على شيء وهو لا يدرى أين يجعل رجليه فيطأ كل شيء وهو لا يراه . والعشا ضعف فى البصر يقال رجل أعشى وامرأة عشواء . يقول إن يقين هذا المستيقن المسترق ليس شيئا فما أشبهه إلا بأعشى يخبط فى ظلمات الليل خبط العشواء .

(٢) ولا كفران لله : أى ولا جحد لله والكفران والكفر واحد ، وأصل الكفر التغطية والستر : كفر فلان النعمة إذا عرفها وكتمها ويقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته ، وسمى الزارع كافراً لأنه إذا ألقى البذر فى الأرض كفره أى غطاه قال الله عز وجل (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) والكفار ههنا الزراع ، ويقال جاء فلان فى ألف كافر يريد فى ألف فارس ممن غطى عليه السلاح ، وسمى طلع النخل كافوراً لاستتاره فى أغطيته ، وأحسن ما قيل فى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» أى لا يتكفر بعضكم لبعض فى السلاح . والسارب . الظاهر بماله من الماشية وكل متصرف فى حوائجه فهو سارب ، ومنه قول الله عز وجل (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقال الشاعر :

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم   ونحن حللنا قيده فهو سارب

سارب : أى ذاهب . وأخلى : أى دخل فى الخلا : وهو الحشيش الرطب كما يقال أظلم إذا دخل فى الظلام وأصبح إذا دخل فى الصباح وأمسى إذا

إذا أحَسَّ نَبْأَةً رِيعَ وإنْ   تطامَنَتْ عنهُ تمادَى ولَها (١)

كَثُلَّةٍ رِيعَتْ لِلَيْثٍ فانزَوَتْ   حتى إذا غابَ اطْمأَنَّتْ أنْ مَضَى (٢)

نُهالُ للأمرِ الّذى يَرُوعُنا   ونَرْتَعى فى غَفْلةٍ إذا انْقَضَى (٣)

دخل فى الامساء ، وقيل أخلى صار فى خلوة والتقدير على هذا نحن كهذا السارب الذى ارتعى فى خلوة . ورعى يقول اننا يعزب عنا اليقين مع يمانتا بالله سبحانه وتعالى نحيد حينا الجادة ، ونغتر بزهرة الدنيا وحالنا فى ذلك حال السارب من الابل أو الماشية تركت هملا ووجدت مرعى ترعاه

(١) أحسن . علم . والنبأة . الصوت الخفى : ريع . فزع :واطمأنت هدأت وسكنت ، وكذلك تطامنت . وتمادى : استمر ودام . ولها : غفل : يقول إنه لسيره على غير هدى عدم الأمان والقرار فهو مطمئن متماد فى لهوه وغيه يرتاع لأقل الأصوات وأخفى الحركات (وهذا شرح البيت الذى قبله)

(٢) الثلة : بالفتح الجماعة من الغنم ، والثلة بالضم الجماعة من الناس قال الله تعالى (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) وريعت : فزعت ، وانزوت : انقبضت والليث : الأسد وجمعه ليوث : يشبه الناس بجماعة من الماشية ترعى مطمئنة مالم يروعها الليث ويخيفها فتنزوى وتكف عن الرعى وتدخل إلى مرابطها .

(٣) نهال : تفرع والهول الفزع . والروع أيضا الفزع : ويروعنا : يفزعنا وترتعى : ترعى ومنه قوله تعالى (نرتع ونلعب) وفى غفلة : لتركه النظر فى مآله مع عجزه عما يفزعه . وانقضى : ذهب وفرغت مدته . يقول إننا نرتاع ونفزع عند ما تعرونا ملمة فاذا صرف المهم وزالت الكربة عدنا إلى غفلتنا ونسينا ما كان من البلاء والشدة ولا نعتبر بما أصابنا

إنَّ الشَّقاءَ بالشَّقىِّ مُولَعٌ لا يَمْلكُ الرَّدَّ لهُ إذا أتى(١)

واللَّوْمُ للحرِّ مُقيمٌ رادِعٌ والعَبْدُ لا يَرْدَعُهُ إلَّا العصا(٢)

وآفَةُ العَقْلِ الهَوى فَمنْ عَلا على هَـواهُ عَقْلُهُ فقدْ نَجا(٣)

---

(١) الشقاء : والشقوة واحد ، ومنه قوله عز وجل (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ويقرأ شقاوتنا . والمولع : المغرم بالشيء الملازم له لا يكاد يفارقه . لا يملك الرد له : أى لا يملك الدفع والصرف : يقول إننا أشقياء لأنا نخاف الشقاء فهو يولع بنا فنعجز عن دفعه كأننا يقول إننا إذا لم نخف الشقاء ولم نتوقع حدوثه لم يقربنا ولم يعرف طريقنا بل إذا أتى إلينا استطعنا دفعه وكذا الشقى يجلب لنفسه الشقاء ، وهذا كقولهم الناس من خوف الفقر فى فقر

(٢) اللوم : بالفتح من الملامة وهو الذم والشتم ، واللؤم بالضم الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء ، والحر : الخالص من كل شيء . ومقيم : أى مصلح ما كان فيه . ورادع : كاف يقال ردعته فارتدع أى كففته فانكف ، والرداع وجع فى الجسد قال الشاعر :

فيا عجباً وعاودنى رداعى وكان فراق ليلى كالخداع

والرداع أيضا لطخ الطيب وأثره فى الجسد والرداع الغضب قال الشاعر :

بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم

وقيل الرداع فى هذا البيت اسم ماء بعينه يعرف به ذلك الموضع . والعبد لا يردعه إلا العصا . أى لا يردعه عن السوء إلا العصا . يقول إن الحر يستقيم من ميله ويصلح أمره ويعتدل عوجه بكلمة تقال له ، ولكن العبد لا يصلحه إلا الضرب والشدة .

(٣) وآفة العقل : مضرته ومفسدته . والهوى : الشهوة والارادة . فمن علا

كَمْ مِنْ أخٍ مَسْخُوطَةٍ أخلاقُهُ أصْفَيْتُه الوُدَّ لخُلقٍ مُرْتَضى (٣)
إذا بلَوْتَ السَّيفَ محموداً فلا تَذُمُّهُ يوماً أنْ تَراهُ قدْ نَبا (١)
والطِّرْفُ يَجتازُ المَدى ورُبَّما عَنَّ لِمَعْداهُ عِثارٌ فكَبا (٢)

أى فمن ارتفع عقله على هواه : أى على شهوته وإرادته ، فقد نجا : أى فقد سلم

يقول إن الهوى مفسد للعقل ويضر به لأن الهوى والعقل ضدان فإذا غلب سلطان الهوى على سلطان العقل فسد الأمر وهلك صاحبه أما إذا غلب سلطان العقل على سلطان الهوى نجا صاحبه من الهلاك

(١) مسخوطة : من السخط وهو ضد الرضى فمعنى مسخوطة غير مرضية وأخلاقه : طبائعه ، وأصفيته الود : أى أخلصت له الود ، ولخلق مرتضى : أى لخلة واحدة مرضية منه ، والمرتضى : المستحسن ، يقول إننى كثيرا ما أصفى ودى وأؤاخى أناسا لهم أعمال كثيرة شائنة وأخلاق نابية غير فاضلة ، ولكننى أجد فيهم خلة واحدة طيبة ترضينى فأحسن معاملتهم لأجلها

(٢) بلوت :اختبرت قال الله عز وجل (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) أن تراه قد نبا : وأن فى موضع نصب لأنه مفعول به ، وقيل هو مفعول من أجله والتقدير فلا تذمه يوما من أجل أن تراه قد نبا أى من أجل رؤيته نابيا ، ونبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئا . يقول إن مثلى مع هولاء كمثل صاحب السيف لا يذم إذا نبا ، فان نبوته لعلة ليست فيه ، وكذلك هؤلاء الناس ، أغفر لهم سوء خلقهم وأعزوه إلى أمور خارجة عن طوقهم

(٣) الطرف : الكريم من الخيل . ويجتاز . أى يجوز ، والمدى : الغاية وعن عرض . ولمعداه : لعدوه ، وعدوه : جريه ، وعثار : مصدر عثر يعثر عثارا إذا

مَنْ لكَ بالمُهذَّبِ النَّدْبِ الّذى لا يجِدُ العَيبُ إليهِ مُخْتَطى (١)

إذا تصَفّحتَ أُمورَ النَّاسِ لمْ تُلفِ امْرءاً حازَ الكَمالَ فاكْتَفى (٢)

عَوِّلْ على الصّبرِ الجميلِ إنّهُ أمْنعُ ما لاذَ بهِ أُولوا الحِجا (٣)

كبا ، وكبا : سقط لوجهه . يقول مثلى كذلك معهم كمثل راكب الفرس الكريم ينبغى أن يذمه إذا عثر به أو كبا ما دام لا يوصله إلى الغاية

(١) المهذب : العاقل الظريف ، وقيل المهذب المخلص ، والندب : الرجل الخفيف فى الحاجة ، وقيل الندب الذى ينتدب للمكارم ، وقيل الندب المندوب لكل حاجة حسن تصرفه فيها ، وقيل الندب الذى قد عركه الدهر لحسن أخلاقه والمختطى : الممشى وهو من خطا يخطو إذا مشى . يقول إن الخلوص من كل الشوائب والبراءة من العيوب والسلامة من المآخذ فى الأصدقاء أمر لا سبيل إليه

(٢) التصفح : النظر فى خلال الشىء ، ولم تلف : لم تجد ، وحاز : حوى . الكمال : التمام يقال أكملت الشىء إذا أتممته ، واكتفى : أى اجتزأ به تقول كفانى الشىء يكفينى أى أجزأنى . يقول إنك إذا استعرضت البشر أو قرأت صفاتهم وأعمالهم وجدت قلوبهم امتلأت بالأطماع واستحوذ عليها الجشع حتى أن من بلغ من الكمال الخلق نهايته لا تقف مطامعه عند حد يرضى معه بما هو فيه لا فرق بين عال ودون وأمير وحقير

(٣) عول على الصبر : أى ارجع إليه واعتمد عليه ، أمنع : أى أحمى وأقوى ، ولاذ : لجأ وركن واستتر ، والحجا : العقل وأولوا الحجا : أولوا العقل يقول اتخذ الصبر الجميل صاحبا لك تعول عليه فى كل ما يحزب من شدة وهون فهو الحصن المانع والدرع الواقية التى يلوذ بها ذوو العقول السليمة.

وَعطْفِ النفسَ عَلى سُبُلِ الأسَا إذا استفزَّ القلبَ تبريحُ الجوى (١)

والدَّهْرُ يَكبُو بالفتى وتارةً يُنهِضُهُ مِنْ عَثرةٍ إذا كبا (٢)

لا تعجَبَن مِنْ هالكٍ كيفَ هَوَى

بلْ فاعجَبَن مِنْ سالِمٍ كيفَ نَجا (٣)

إنْ نُجومَ المَجْدِ أمْستْ أُفَّلاً وظِلُّهُ القَالِصُ أضْحَى قدْ أزَى (٤)

---

(١) عطف النفس : ردها ، والسبل : الطرق واحدها سبيل ، والأسا : التصبر إذا استفز : استخف ، والتبريح : الشدة . وجمعها تباريح ، والجوى : مقصور مفتوح الجيم فساد الجوف يكتب بالياء لأنه يقال جوى يجوى جوى ويروى تبريح الأسا والأسا بفتح الهمزة الحزن . يقول روض نفسك على التسلى بالصبر وعرفها طرقه وحببه إليها عندما يعروك ملم يستفزك ويثير أشجانك

(٢) يكبو : يعثر يقال كبا يكبو بمعنى عثر يعثر ، وتارة : أى مرة وحينا ، وينهضه : يقيمه ، وإذا كبا : سقط وعثر والمصدر كبوة واسم الفاعل كاب .

يقول اصبر على المكروه يصل بك صبرك إلى الأمر الحميد السار فان الدهر كفرس إن عثر بصاحبه مرة فانه ينهضه أخرى ويوصله إلى ما يحب

(٣) هوى : سقط يقال منه هوى يهوى هويا ، ونجا : خلص . يقول إن المصائب والشرور فى الدنيا طبيعة فيها وهى غالبة على سرورها فلا يزيدنك عجبا أن ترى إنساناً هلك بل اعجب أشد العجب للسالم الذى ينجو ، وهل نجا إنسان من الهلاك منذ برا الله الناس ذلك ما لا سبيل إليه

(٤) المجد : الشرف ، والأفل : الغيب والواحد آفل يقال أفل أفولا إذا غاب قال الله عز وجل (فلما أفل قال لا احب الآفلين) والقالص : المرتفع ،

إلاّ بَقايا مِنْ أُناسٍ بِهِمْ إلى سَبيلِ المَكْرُماتِ يُقْتَدى (١)

إذا الأَحاديثُ انْتَضَتْ أَنْباءَهُمْ

كانَتْ كَنَشْرِ الرَّوْضِ غاداهُ السَّدَى (٢)

وفرس قالص طويل القوائم ، وأزى : قصر وتقبض . يقول إننا أصبحنا فى عالم غربت نجوم مجده بعد الشروق وتقلص ظله بعد امتداد وامحت رسومه ولم يبق من معالم المجد إلا اسمه الدارس وظله المتقلص

(١) يقتدى : يتبع فعالهم . يقول إنه لم يبق من أصول المجد ودعائمه إلا بقايا قلائل هم فى عصرنا الضوء الهادى إلى سبيل المكارم التى أصبحت خفية المعالم مندثرة ولا يتوسل إليها بغير هؤلاء الناس

(٢) انتضت : أى ظهرت وهو من نضا الشىء ينضو إذا ظهر ويروى اقتضت بالقاف أى طلبت الأحاديث أخبارهم ، والأنباء : الأخبار واحدها نبأ ، والنشر : الرائحة الطيبة ، والروض الموضع الذى يكون فيه ضروب من النبات فيكون فيه أنواع النور وهو جمع روضة فان كان فيه شجر فهو حديقة ، وغاداه : باكره وهو من الغدو يقال غاداه يغاديه مغاداة إذا صبحه بالغدو . والسدى : الندى فى هذا الموضع وهو المطر ، وقيل السدى ما نزل فى أول الليل والندى آخر الليل ، وقال ابن الأنبارى السدى والسقى والندى فى معنى واحد يقال أرض سدية وسقية وندية قال الفراء وكلهن يكتبن بالألف والياء ، قال الأصمعى يقال سديت الأرض إذا نديت من السماء كان الندى أو من الأرض ، قال ابن حبيب الندى ما كان من السماء والسدى ما كان من الأرض يقول إن هؤلاء الناس حين يتحدث الناس بذكرهم تعطر الأرجاء مثلهم فى ذلك مثل نشر الروض باكره الندى فعبقت أزاهيره وفغم الحواس أريجه

لا يَسْمعُ السّامِعُ فى مَجْلِسِهِمْ هُجْراً إذا جالَسْتَهُمْ وَلا خَنا (١)
ما أنعمَ العِيشةَ لوْ أنَّ الفتى يَقبَلُ مِنهُ المَوتُ أسْناءَ الرُّشا (٢)
أوْ لوْ تَحلّى بالشَّبابِ عُمْرَهُ لم يَسْتَلِبْهُ الشَّيبُ هاتِيكَ الحُلى (٣)

---

(١) الهجر : القبيح من القول . والخنا فى القول أو الفعل . ويقال : الخنا فهما يقول إن مجالسهم كريمة لايسمع فيها للفحش أو الخنا أو هجر القول وذميمه ذكراً فلا تتأذى فيها الأسماع بل تصان عن كل المقابح والعيوب .

(٢) ما أنعم العيشة : أى ما أطيبها، والعيشة : الحياة ،وأسناء الرشا : أرفعها وأعلاها وواحد الأسناء سنى بالتشديد وأصله الهمز لأنه من السناء الذى هو الرفعة والشرف لكن من شدد أبدل الهمزة ياء من أجل الياء التى قبلها وأدغم الياء الأولى فى الثانية على الأصل المستعمل فى الهمزة المتحركة التى قبلها ياء زائدة أو واو زائدة كسنىء وضوء فالأسناء بالمد جمع سنىء مثاله أيتام ويتيم وهذا المثال من الجمع لفعيل إنما يكون قليلا فى الصفات لا فى الأسماء كما أنه قليل إذا أتى جمعا لفاعل نحو صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد، والرشا جمع رشوة وهى العطية التى يحابى بها الإنسان أو يخص ، والمراشاة المحاباة وقيل رشا الهدايا لمن يخاف ظلمهم مثل الحكام ونحوهم . يقول لو أن الموت قبل رشوة من الناس لبذلوا له الرشى السنية والعطايا الفاخرة لينعموا بالمعيشة وتصفو لهم الحياة وماكان أنعمهم بذلك ولكن الموت لا يقبل الرشوة فالحياة مرنقة مكدرة بسبب الموت والفناء .

(٣) تحلى بالشباب : لبسه وتزيا به ، ويستلبه : يجرده ، وهاتيك : بمعنى تلك ، والحلى : جمع حلية . يقول أيضا ما أحسن التنعم بالحياة لو متع الإنسان

هَيهاتَ مَهما يُستَعَر مُستَرجَعٌ ... وَفي خُطوبِ الدَّهرِ لِلنّاسِ أُسَى (١)

وفِتيَةٍ سامَرَهُم طَيفُ الكَرَى ... فَسامَرُوا النَّومَ وهُم غِيدُ الطُّلى (٢)

والليلُ مُلقٍ بالمَوامِي بَرْكَهُ ... والعِيسُ يَنْبِثْنَ أَفاحِيصَ القَطا (٣)

الشباب طول حياته ولم يسلط عليه الشيب ويغلبه الضعف فيسلبه حلى الشباب الجميلة بما فيها من قوة ونضارة وقدرة على الاستمتاع باللذائذ .

(١) هيهات : بمعنى بعد . قال الله عز وجل حكاية عن الكافرين « هيهات هيهات لما توعدون » . ومهما يستعر : أي ما يستعير لابد لمعيره أن يأخذه . ومسترجع : مردود . وخطوب الدهر : أموره . والأسى : جمع أسوة وهى ما يتأسى به الإنسان مما ينزل بغيره لأنه يقتدى به ويتعزى به فيتصبر . يقول ما أبعد هذه الأمانى ، فان الحياة والشباب عارية وكل عارية مآلها الرجوع من حيث أتت فعلينا أن نتأسى بما أصاب الناس قبلنا من نوائب الدهر وفواجعه .

(٢) فتية : جمع فتى ، وسامرهم : حادثهم ليلا ، والسمر : الحديث بالليل يقال من ذلك سمر يسمر فهو سامر ولا يقال سمر بالنهار . وقولهم هذه كتب السمر أى كتب الأحاديث التى يتحدث بها ليلا وقيل معنى كتب السمر أى كتب الدهر والعرب تقول لا أفعل ذلك ماسامر ابنا سمير أى ما اختلف الليل والنهار والسمار المحدثون واحدهم سامر . والسامرى منسوب إلى سامرة وهى بلدة ، والطيف : ما يراه الإنسان فى المنام من خيال من يحبه ، والكرى : النوم والغيد : جمع أغيد وهو الناعم وقيل المائل العنق وقيل المائل المتثنى نعمة ، والطلى : الأعناق ، يقول رب فتية قراهم طيف الكرى فوق ظهور الإبل وسامرهم وأمال الكرى والنوم أعناقهم الناعمة وغلبهم التعب على النوم .

(٣) الموامى : جمع موماة وهى القفر ، والبرك : الصدر ، وينبثن : يخرجن

بحيثُ لا تُهدَى لِسَمْعٍ نَبْأَةٌ   إلاّ نَئيم البُوم أوْصَوت الصَّدَى (١)

شايَعتُهُم على السُّرَى حتى إذا   مالَتْ أدَاةُ الرَّحْلِ بالجِبْس الدَّوَى (٢)

قُلت لهُم إنَّ الهُوَيْنا غِبّها   وهْنٌ فجِدُّوا تَحْمَدوا غِبَّ السُّرى (٣)

والنبث والنبيثة : التراب الذى يخرج من البئر والنهر والجمع النبائث ، والعيس : البيض من الابل الواحد أعيس والأنثى عيساء ، وأفاحيص القطا : أوكارها واحدها أفحوص وقيل أفاحيص القطا المواضع التى تفحصها بصدورها للبيض أى توسعها . يقول إن هؤلاء الفتية ناموا والليل قد غطى القفار وشملها وألقى عليها أرديته ، ولكن الإبل لم تنم بل سارت بهم فى الليل تجـوب بهم الموامى المقفرة تخرج بأخفافها أفاحيص القطا وأوكارها .

(١) النبأة :الصوت الخفى ، ونئم البوم : صوته والبوم: الهام والصدى: ذكر الهام . يصف الليل وسكونه فلا تسمع الأذن إلا صوت البوم والهام .

(٢) شايعتهم : تابعتهم على رأيهم فى سير الليل ، والسرى : سير الليل ، وأداة الرحل : حوائجه وهى عيدانه من الإكاف وقطع الأكسية والبرذعة . والجبس الرجل الثقيل، والدوى: الأحمق يريد بذلك أنه كان نائما فمالت به أداة الرحل يقول إننى كنت متابعا لهؤلاء الفتية أسير معهم ليلا فلما ناموا وثقل النوم أجسامهم مالت أداة رحلهم وهم على الإبل فكادوا أن يقعوا .

(٣) الهوينا : الرفق فى السير وقيل مشية فيها فور ، وغب السرى : عاقبته ، والوهن : الضعف . وجدوا : أى اجتهدوا من قولهم جد يجد إذا اجتهد . يقول إننى أيقظتهم ونصحتهم بالاقلاع عن النوم والكسل والترفق فى السير لأن نتيجة

ومُوحِشِ الأَقطار طامٍ ماؤُهُ مُدَّعثرِ الأعضادِ مهزُومِ الجَبا(١)
كأنَّمـا الرِّيشُ عَلى أَرْجائه زُرْقُ نِصالٍ أُرهِفَتْ لِتُمْتَهى(٢)

ذلك كله غير محمودة وقلت لهم جدوا تحمدوا عاقبة سيركم هـذا وتصلوا إلى نتيجة حسنة محمودة وتقطعوا المفازة بسلام فان النهار إن أدرككم منعتم من السير لأنكم فى بيداء لا يمكن للانسان أن يسير فى هاجرتها براحلته .

(١) موحش الأقطار : يعنى بئراً أو حوضاً ، والموحش ضد المؤنس لأن الوحشة ضد الأنس فتفسير موحش بعيد العهد بالانس ، والأقطار : النواحى واحدها قطر ، والطامى : المرتفع ، ومدعثر : مهدوم . والأعضاد : ما حواليه من صفائح الحجارة التى تعضده أى تشده وتقويه واحدها عضد ، والجبا : بفتح الجيم ماحول البئر والحوض ، والجبا : أيضا الحوض الذى يجبى فيه الماء يصف بئراً موحشة معطلة لبعد عهد الانس بها قد ارتفع ماؤها فتهدم بناؤها .

(٢) على أرجائه . أى نواحيه وواحد الأرجاء رجى مقصور ، وزرق فصال: أى بيض نصال فالزرق البيض والنصال : جمع نصل وهى للسهام وواحد السهام سهم . وأرهفت أى رققت . وتمتهى : تسق بالماء تقول امتهى الحداد السكين أى سقاه بالماء وقيل معنى أرهفت هنا استلت عن كناناتها . وتمتهى أى تحد وهذا موافق لقول امرىء القيس :

راشه من ريش ناهضة ثم امتها على حجره

يقول إن هذه البئر أو الحوض تناثر ريش سباع الطير فى نواحيها وأرجائها لكثرة ماوردته واقتتلت على مائه فأشبه الريش النصال الزرق المرهفة المحددة المعدة للرمى

وَرَدْتُهُ والذِّئْبُ يَعْـوِى حَوْلَهُ
مُسْتَكُّ سُمِّ السَّمْعِ مِنْ طُولِ الطَّوَى (١)
ومُنْتَـجٍ أُمُّ أبيهِ أُمُّـه لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضَّوَى (٢)

---

(١) وردته : يعنى وردت هذا الماء فالهاء عائدة على الماء فى قوله طام ماؤه . ومعنى يعوى يصيح من الجوع . ومستك : ضيق سم السمع والاستكاك : الصمم والسم : الثقب وسم كل شىء ثقبه قال عز وجل (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى فى ثقب الخياط . والطوى : الجوع والطوى أيضا خمص البطن وهو ضموره يقول إننى وردت هذه البئر الموحشة التى لا أنيس عندها غير الذئب يعوى ويصوت حوله من الجوع حالة كون ذلك الذئب أصم لا يسمع من طوى ما طوى جوعا .

(٢) ومنتج : فيه قولان أحدهما أن يكون مفتعلا من النجوة وهو المكان المرتفع فيكون الأصل فيه منتجو فوقعت الواو فى موضع حركة وقبلها مكسور فسكنت وقلبت لكسرة ماقبلها فصارت ياء ساكنة دخل عليها التنوين فسقطت لالتقاء الساكنين وهذا الوجه الصحيح والثانى وهو الوجه الضعيف أن يكون منتج مفعلا من النتاج فيكون غلطا فى اللغة لأنه إنما يقال نتجت الناقة ونتجها أهلها فمحال أن يأتى من الثلاثى اسم المفعول على مفعل وإنما يكون على مفعول كما يقال ضرب فهو مضروب وإنما يأتى على مفعل من الرباعى كقولك أكرمته فهو مكرم غير أن أبا إسحق الزجاج حكى أنه يقال نتجت الناقة وأنتجت بمعنى واحد فهو على هذا جائز وقيل إن نتجت الناقة إذا ظهر نتاجها ولا يعرف لها فعل غير هذا ، ومنتج على القول الأول اسم فاعل وعلى القول الثانى اسم مفعول، ومعنى البيت على هذا رب غصن مولود وهو على الاستعارة . ثم قال أم أبيه أمه يحتمل هذا وجهين يجوز أن يريد بأم أبيه التى هى أمه الأرض فكأنه وصف

غصنا نبت من غصن قطع من شجرة فالأرض أم الشجرة وأم الغصن الذى نبت منه الغصن الثانى الذى هو أبو الغصن الأول . ويحتمل أن يريد غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمنزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنه منها فصارت أما لأبيه وأما له وقوله لم يتخون : أى لم يتعاهد يقال فلان يتخاونه الخبل اى يتعاهده والتخون أيضا التنقص ويروى لم يتخور جسمه بالراء وهو من الخور والخور الضعف يقال خار الرجل يخور خورا إذا ضعف وهو بالخاء المعجمة واسم الفاعل خائر وخوار . يريد أن الغصن الذى ذكره لم يتعاهده الضعف والرقة . والضوى : الهزال ومنه غلام ضاو وجارية ضاوية . وقال ابن خالويه: يعنى النار إذا قدحت من الزند والزندة وهما خشبتان العرب تورى منهما النار الاعلى الزند والسفلى الزندة . ويقال فى الشجر كله النار واستحمد والعضاة . قال الله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) يعنى الأخضر إذا يبس يورى منه النار فأقام هذه النار الزندة وأبوها الزندوهما من شجرة واحدة ولذلك قال أم أبيه أمه وهذا كماقال ذو الرمة :

أخوها أبوها والضوى لايضيرها وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا

وقد قال مثل هذا أوس بن حجر والنابغة وكعب بن زهير فأما قول كعب:

حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها فوداء شمليل

هذا جمل قرع ناقة فولدت سقبا أى ولدا ذكرا فلما بلغ قرع هذه الناقة وهى أمه فولدت بكرة هو أبوها وهو أخوها من الفحل الكبير والفحل الكبير خالها لأبيها لأنه أخ لأب وأخ لأم . قال ابن حبيب معنى هذا البيت مثل رجل تزوج امرأة وزوج بنته من غيره لابنها من غيره ثم جاء منها ولد وجاء ابنها من بنته ولد فصار ابن الرجل منهما عم ذلك الولد لأنه أخو أبيه من أمه وهو

أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَانْثَنَتْ عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُشْتَوى (١)
وَمَرْقَبٍ مُخْلَوْلِقٍ أَرْجَاؤُهُ مُسْتَصْعَبِ المَسْلَكِ وَعْرِ المُرْتَقَى (٢)

خاله أيضا لأنه أخو أمها من أبيها . قال الطرماح :

وأخرج أمه لسواس سلمى لمعقوم الضرا صرم الجنين

يعني بذلك الزندة وسواس سلمى أصله وسلمى مع جبل طيء الحرف من النوق تكون هزيلة وسمينة . وقال آخرون سميت حرفا لأنهـا انحرفت من السمن إلى الهزال وهذا كثير في اللغة

ولم يتخون: لم ينقص يقال تخونه وتخوفه بمعنى قال تعالى (أو يأخذهم على تخوف) أي على نقص . والضوى الهزال ضوى يضوى ضوى شديد أو غلام ضاوى مهزول . وجاء في الحديث « تزوجوا في الغرباء ولا تضووا » ويروى « لا تضربوا في الأقارب فتضووا » والضوى أيضا جمع ضوة وهي درمة في لهـازم البعير . واللهازم داخل الحنك من كل شيء

(١) أفرشته يعني فرشت للزند الأعلى بنت أخيه الزندة السفلى فانثنت عن ولد يعني النار ويقال للنار إذا خرجت من الزندة السقط . ويورى به : أي يستضاء به . وذكر الضمير في به لأنه راجع على الولد والولد مذكر . ويشتوى به : يشوى به يقال شويت اللحم واشتويته

(٢) المرقب : الموضع العالى الذى ينظر منه إلى بعد . والمخلولق : الأملس ارجاؤه : نواحيه ، والمستصعب : الصعب ، والمسلك : الطريق وجمعه مسالك ، ويروى مستصعب الأقذاف والأقذاف النواحي واحدها قذف ، والوعر : الصعب والمرتق : المصعد . ويروى وعر المرتبى أي الموضع العالى الذى يرتبى اليه أي يرتفع فيه ويصعد عليه وهو من ربا يربو إذا ارتفع والربوة الأرض المرتفعة

والشّخصُ فى الآلِ يُرَى لناظرٍ ... تَرمُقُهُ حِينًا وحِينًا لا يُرى (١)
أوْفَيتُ والشّمسُ تَمُجُّ رِيقَها ... والظّلُّ مِن تحتِ الحِذاء مُحتَذَى (٢)

وفيها أربع لغات ربوة وربوة وربوة بتعاقب الحركات الثلاث على فائها ورباوة والجمع الربى ، وقوله عز وجل (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قيل إنها دمشق ، وقيل إنها بيت المقدس ، وقيل هى فلسطين ، وقيل هى مصر . يقول ورب مكان عال أو جبل مرتفع شامخ كل نواحيه ملساء لا تثبت عليه قدم ولا تستمسك به يد تعجز القوى عن الوصول اليه لوعورته وصعوبة السير والاهتداء فيه .

(١) الشخص : هو الشيء المرتفع مأخوذ من شخص إذا ارتفع . والآل : هو السراب . وترمقه : تنظره . وحينا : وقتا . يقول إن الشخوص والمعالم التي وضعت فى طرقاته للهداية منبهمة الحدود من حر الهاجرة وشدة وقدتها يخفيها السراب عن العيون مرة فلا تستطيع أن تراها ويظهرها مرة أخرى فترى للعين واضحة .

(٢) أوفيت : أوتيت ووصلت . وتمج ريقها : تلقيه : وريقها لعابها ولعاب الشمس إنما يكون فى وقت الظهيرة ، وهو أشد ما يكون فيه الحر فيتبين فى ذلك الوقت فى الشمس مثل نسج العنكبوت خفى يسمونه لعاب الشمس وريق الشمس ولا يكون لشيء فى ذلك الوقت ظل إذا كانت الشمس فى وسط السماء ، ومعنى والظل من تحت الحذاء محتذى : أى ملصق والحذاء : النعل يقول فالظل تحت النعل كأنه قد حذى معها يريد أن ظل الانسان قد صار نعلا لحذاء النعل لأنه بقبالته من تحت محاذيا له . يقول إنى أوفيت ووصلت إلى هذا المكان رغم خطر سلوكه ووعورته فى وقت الظهيرة والشمس كالحية تلقى ريقها تنشر سمومها فى الجو وذلك حين يشتد أوارها وحرها وتتوسط الشمس فى كبد

وَطَارِقٍ يُؤْنِسُهُ الذِّئْبُ إِذَا … تَضَوَّرَ الذِّئْبُ عِشَاءً وَانْضَوى (١)
آوَى إِلى نارِيَ وَهِيَ مَأْلَفٌ … يَدْعُو العُفَاةَ ضَوْءُهَا إِلى القِرَى (٢)

السماء فتنعدم الظلال ويكون الظل تحت قدم السائر

(١) الطارق : الذى يجىء بالليل ولايكون الطارق نهارا . وتضور : صاح من الجوع والتضور الصياح من الجوع يقول إن هذا الطارق يؤنسه تضور الذئب وعواؤه فلما يئس من سماع أصوات بنى آدم أنس بصوت الذئب . وطارق : يصف طارق ليل أو ضيفا أتاه عشاء ، بأن شيمته أن يأنس لشجاعته وقوته إلى عواء الذئب إذا تضور من الجوع وهزل ، والذئب فى هذه الحالة أشد فتكا . ألف الوحوش لأنه وجد فيها خلالا فضلى وأنها لاتبدأ بشر فآنسه وأنس بها . كقول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست الذئب إذ عوى … وصوت إنسان فكدت أطير

(٢) آوى إلى نارى : أى انضم إلى نارى تقول أويت إلى فلان بغير مد على وزن فعلت آوى اليه ممدوداً فى المستقبل على وزن أفعل فأما إذا كنت أنت الذى تؤويه أى تضمه فتقول آويته بالمد على وزن أفعلته أؤويه إيواء على وزن أفعالا قال الله عز وجل (وفصيلته التى تؤويه) أى تضمه وتنسبه إليها : والمألف : الموضع الذى يجتمع فيه الأحباء كأنه يؤلفهم فلذلك سمى مألفا . والعفاة : الفقراء واحدهم عاف مثل قاض وقضاة . والقرى : الضيافة . ويدعو العفاة : أى يندبهم ضوؤها . والكرام من العرب يوقدون النار ليستدل بها على أمكنتهم قال حاتم طىء يخاطب غلاما له :

أوقد فان الليل ليل قرى … والريح ياواقد ريح صر
عل يرى نارك من يمر … إن جلبت ضيفا فأنت حر

لله ما طيفُ خيالٍ زائرٍ تزُفه للقلبِ أحلامُ الرُّؤى (١)

يجوبُ أجوازَ الفلا مُحتقِراً هولَ دُجى الليلِ إذا الليلُ انبرى (٢)

سائلهُ إنْ أفصح عنْ أنبائه أنى تسدّى الليلَ أمْ أنى اهتدى (٣)

وهذا أجود ماروى فى هذا المعنى .

يقول إن هذا الضيف رأى النار التى أوريتها والشواء الذى عملته عليها فأوت اليها فالعرب جعلوا النار مألفا يؤمه طلاب القرى برؤية ضيائها يقول إن ضياء نيراننا بمثابة دعوة أبناء السبيل إلى الطعام .

(١) لله ما طيف : اللام فى هذا بمعنى التعجب يقال لله زيد ما أكمله فى جميع حالاته وما زائدة والتقدير لله طيف خيال . والطيف مايراه الانسان النائم فى صورة محبوبه . والخيال: الشخص الذى يتخيل لك . وتزفه : تحمله من قولك زففت العروس إلى زوجها أزفها إذا حملتها اليه . والأحلام:جمع حلم . والرؤى جمع رؤيا ، يقول ما أعجب هذا الزائر الذى زارنى طيف خياله وقد أرتنى إياه الأحلام التى أراها فى منامى وزفته إلى قلبى كما تزف العروس .

(٢) يجوب:أى يقطع وأجواز الفلا : أوساطها جمع جوز ، والفلا جمع فلاة: القفر من الأرض ، ومحتقراً أى مستصغراً ، لهول دجى الليـل ، والدجى : الظلمة جمع دجية ، وانبرى : اعترض ينبرى انبراء فهو منبر واسم المفعول منبرى اليه الشدة وجمعه أهوال . يصف هـذا الحبيب الذى زاره طيف خياله بأنه يسرى فى الليل وسط الصحارى والفلوات مستهينا بما يلقاه من أخطار وصعوبات وأهوال .

(٣) سائله : يعنى الخيال . وعن أنبائه عن أخباره وواحد الأنباء نبأ ، إن

أوْ كانَ يَدْرِى قبْلَها ما فارسٌ ومَا مَوامِيها القِفارَ والقُرَى (١)

أفصح : إن أبان يقال أفصح يفصح إفصاحا فهو مفصح ، أنى : أى كيف ومنه قول الله عز وجل « أنى لك هذا » أى من أين لك هذا. تسدى : امتد فى السير . وقيل تسدى الليل قطع الليل بالسير يقال سديت الوادى إذا قطعته ويقال تسدى ركب . ويقال تسديت الشىء أتسديا إذا ركبته وعلوت عليه ومنه قول امرىء القيس :

فلما دنوت تسديتها فثوبا نسيت وثوبا أجر

فمعنى قطع هنا أحسن وأم أنى أهتدى معناه من أين اهتدى لزيارتنا واهتدى : استدل ومعنى اهتدى فى الدين استدل على طريق الحق والرشد ، يقول اسأل هذا الزائر ويريد به الطيف لعله يجيبك من سؤالك أو يفصح ويجلى عن أخباره إن كان يستطيع البيان ، من أين أقبل راكبا هول الليالى وكيف اهتدى إلى مكانى ، يقول : إن هذا المكان الذى هو فيه مكان مخيف منقطع لا يرده أحد ولا يهتدى اليه كائن حتى أن الأطياف يبعد أن تمر به والجان لا تقدر أن تعبره .

(١) أو كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الزورة ثم أضمر وجاء بالمضمر لأن سياق الكلام يدل على الضمير ، وما فارس : يريد أرض فارس لحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وهذا كثير فى القرآن وفى لسان العرب والموامى . القفار واحدها موماة . والقرى : المدن واحدها قرية . يقول اسأل طيف هذا الحبيب أكان يدرى قبل هذه الزيارة أرض فارس وموامبها المقفرات المخيفة وقراها العجيبة ومدنها الغريبة وإنما كان يعنى نفسه لأنه رحمه الله قال هذه القصيدة بعد خروجه من البصرة إلى فارس يمدح بها الأمير الميكالى وابنه

وسَـائِلٍ بمُزْعِجى عَنْ وَطَنٍ   مَا ضاقَ بِى جَنابُهُ ولاَ نَبا (١)

قُلتُ القَضَــاءُ مَالِكٌ أمْرَ الفَتى

مِنْ حَيثُ لا يَدْرِى ومِنْ حَيثُ درَى (٢)

لا تَسْألنى واسْألِ المِقْدارَ هَلْ   يَعصِمُ مِنهُ وزَرٌ ومُزْدَرَى (٣)

---

(١) سائلى أضاف وهو يريد الانفصال وذلك أنه جعله نكرة لأن الواو واو رب أراد ورب سائل فأضاف . ومما أضيف ومعناه الانفصال قول الله تبارك وتعالى « كل نفس ذائقة الموت » ، وكذلك « هديا بالغ الكعبة » ، أى كل نفس ذائقة الموت وهديا بالغاً الكعبة وكذلك تقول مررت برجل ضارب زيد تريد ضارب زيداً فنعت به الرجل وجعلته نكرة وإن كان مضافا إلى معرفة لأنك تنوى به الانفصال . وبمزعجى . أى بمزيلى ومخرجى ، والباء فيه بمعنى عن كأنه قال وسائلى عن مزعجى والعرب تقول رب سائلى بزيد أى عن زيد والوطن . المحل وجمعه أوطان . والجناب : بفتح الجيم الناحية . ولانبا : أى ولا ضاق يقال نبا ينبو نبوة فهو ناب . يقول : ورب سائل لى مستوضح عن الأمر الذى أزعجنى عن أرض العراق وماكان جنابه ولا نواحيه ضيقة بى ولاكانت أرضه نابية مقلقة لى تقض مضجعى ، وفى هذا إشعار بألمه العظيم وندمه على هجر بلاده ووطنه إلى أرض فارس وتعلقه بوطنه

(٢) يرد سبب خروجه من البصرة وسفره إلى فارس إلى قضاء الله وقدره وأن أمور الناس رهن القضاء وصروفه يوجهها حسب إرادته لا دخل لارادة العبد مطلقا فى ذلك ولا للمشيئة ولا علمه وجهله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)

(٣) لا تسألنى : يرد على السائل الذى سأله عن السبب الذى أزعجه وأخرجه

لا بُدَّ أنْ يَلْقَى امْرُؤٌ ما خَطَّهُ   ذُو العَرشِ مِمّا هُوَ لاقٍ ووَحَى (١)

لا غَرْوَ إنْ لَجَّ زَمانٌ جائِرٌ   فاعْتَرَقَ العَظْمَ المُمِخَّ وانْتَقَى (٢)

عن وطنه . والمقدار : القدر وهو ماقدر على الإنسان من خير وشر ثم قال هل يعصم منه : أى يمنع منه يعنى من القدر ، ومنه قول الله عز وجل (لا عاصم اليوم من أمر الله) أى لا مانع . والوزر : الملجأ وجمعه أوزار . والمزدرى : المكان المرتفع المانع وهو من الذروة ، والذروة أعلى الجبل ، وقيل أو مذرى أراد به جانبا عزيزا من قولهم فلان فى ذرى فلان بفتح الذال أى فى جانبه كأنه قال لا يعصمه ملجأ ولا جانب يمنعه غيره . ويروى بالدال المهملة والمدرى: المدفع وهو من درات أى دفعت . يقول : دع عنك مساءلتى ولا تعنتنى بكثرة سؤالك فلا جدوى من وراء ذلك ولكن إذا أعيت فاسأل القدر نفسه وما يصيب الإنسان ويلم به من أحداث الدهر ونوائبه ، اسأله أيوجد عاصم ووزر وملجأ يحول بين الإنسان وبين أحداثه ؟ أهناك ما يدفع عنه غوائل القدر ونوبه ؟

(١) لابد : حتم ، وماخطه ذو العرش : يريد ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ . ووحى : معطوف على خطه ومعنى وحى كتب يقال وحى يحى وحيا إذا كتب .

يقول إنه لا عاصم ولا وزر هناك بل حتم أن يلاقى كل امرىء ما كتبه الله عليه علمه وغيبه وقضاه وحتمه فى أم الكتاب وأن يرضخ لحكم القضاء وتصاريفه كالعبد القن الذى ليس فيه شائبة من حرية

(٢) لا غرو : لاعجب . ولج زمان : عرض وألح زمان ، فاعترق العظم : أى أزال عنه اللحم . والممخ . الذى فيه المخ . وانتقى : استخرج منه النقى وهو المخ . يقول لا تعجب بعد ذلك حين ترى الزمان الجائر يلح على العباد ويقصدهم بالاساءة والمكروه وينحى عليهم بشتى المصائب التى تشوه الجمال وتذويه وتعترق

فَقَدْ تَرى القاحِلَ مُخْضَرًّا وقَدْ تُلفى أخا الإقتارِ يوماً قد نَما (١)

يا هؤُليًّا هَلْ نَشَدْنُنَّ لَنا ناقِبَةَ البُرْقُعِ عَنْ عَيْنَىْ طَلا (٢)

العظام السمينة القوية الممتلئة بمادة القوة والحياة فيزيل ما عليها من اللحم والبضاضة والسمن ويمتص ما فيها من المخ والدهنيات ويتركها جلودا على عظام كالحة اللون ضعيفة واهنة القوى وهذا مثل لما يصيب أشراف الناس ويلحقهم من العدم والفاقة ،ومثل لحالته التى وصل اليها

(١) القاحل:اليابس . وأخو الاقتار: المقل من المال ، ونما : زاد واستغنى يقول كما ترى الأرض القاحلة التى لانبات فيها قد اخضر أديمها بالعشب والنبات وترعرع فيها الشجر وجاد بالثمر . كذلك تجد الفقير البائس قد أقبلت الدنيا عليه وعظم ماله واستغنى وعز أمره بعد أن كان حقيرا ذليلا

(٢) هؤليا : تصغير هؤلاء ، ونشدتن : طلبتن ، وقيل نشدتن عرفتن من قولهم نشدت الضالة إذا عرفتها . وناقبة البرقع : أى مغطية البرقع والمتقنعة به ويروى رافعة البرقع أى التى إذا رفعت للبرقع عن وجهها رفعته عن عينى طلا ويروى أيضا ثاقبة البرقع بثاء مثلثة يريد المضيئة الوجه ومنه قوله عز وجل (النجم الثاقب) والطلا : بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية وجمعه اطلاء

وهذا انتقال من موضوع إلى آخر يقول لأصحابه ألا طلبتن المرأة الحسناء المتنقبة بالبرقع على عينين ساحرتين جميلتين كعيون بقر الوحش حوراً وجمالا ، وإنما هو زجر وتعنيف لمن يتتبع النساء والجمال بعد زمان الصبا والطيش وقد ناداهم بصيغة المصغر ليدل على أن طلب النساء إنما يكون فى زمن الحداثة ويؤيد هذا الذى أذهب اليه أنه يردع الأشيب عنه .

ما أنصفَتْ أمُّ الصبيّين التى أصبَتْ أخا العِلمِ ولمّا يُصطَى (١)
إستَحى بيضًا بينَ أفوادِكَ أنْ يَقْتادَكَ البيضُ اقتيادَ المُهتَدَى (٢)

(١) ما أنصفت أم الصبيين : هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة وقيل أم الصبيين يعنى بالصبيين العينين سميا بذلك للشخص الذى يرى فيهما كالصبيين وهو الذى يسمى إنسان العين وهـذا قول حسن ويروى الصبيين بضم الصاد وهما الخرصان اللذان يكونان فى الأذنين . وأصبت أخا الحلم : اى ردته إلى الصبا وهو اللهو . والحلم : العقل . ولما يصطى :أى لم يرد إلى الصبا فلماهنا بمعنى لم يرد قبل ذلك إلى الصبا . بعد أو زجر الكبير المسن عن النظر إلى النساء الجميلات والتلفت اليهن وطلبهن ونشدانهن عرض لزجر النساء ، يقول ليس إنصافا منك أيتها المرأة التى كبرت وأصبحت أم صبيين أن تبتذل جمالها وتعرضه فى سوق الهوى والبطالة وتعرض العاقل الحليم الذى لم يقع فى شرك النساء من قبل فيقع بسببها أسير الهوى والجمال وربما كان ذلك وصفا منه لامرأة بعينها جميلة جعلته غرضا لهواها ورمنه نفسه بحسن وجهها وجمال عيونها فأقصدته

(٢) استحى : فعل أمر من الحياء الذى هو ضد القحة . وبيضا : أراد من بيض فلما أسقط من تعـدى الفعل فنصب ، والبيض الأول هـو الشيب . والبيض الثانى النسـاء ، يخاطب نفسه ويعاتبها يقول استحى من شيبك أن تستميلك النساء فيرددنك من طريق الحلم إلى التصابى . وبين أفوادك : جمع فود والفودان جانبا الرأس أى ناحيتاه من يمين وشمال . ويقتادك : يقودك ويسوقك . واقتياد : سوق . والمهتـدى : الأسير ، ويروى المفتدى أيضا بالفاء وهو الأسير ، ويروى المعتدى بالعين المهملة يريد المعتدى عليه فيكتفى بعلم المخاطب من الصلة وهو قبيح والمعتدى عليه هو المظلوم الذى اعتـدى عليه

هيهاتَ ما أشنعَ هاتا زَلَّةً　　أطَرَبًا بعدَ المشيبِ والجَلا (١)
يا رُبَّ ليلٍ جَمعتْ قُطْرَيهِ لي　　بنتُ ثمانينَ عَروسًا تُجتَلَى (٢)

قال الله عز وجل (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) يقول لمن ابيض شعر فودَيه ألا تستحي من طلائع المشيب التي ظهرت تباشيرها بين فودي رأسك . إن سنك قد كبرت وعقلك قد تم واكتمل ورجح فيجدر بك أن تتبع الحزم ولا تتبع الهوى وجمال النساء فتساق إلى حتفك كما تساق الذبائح التي تهدى في المشعر الحرام لتنحر وتسفك دماؤها . إنه لجدير بك أن تكون أنت الهادي المسير لغيرك لا أن تكون أنت المهتدى فدية أو هدياً يضحى به .

(١) هيهات: كلمة تبعيد وهاتا للمؤنث بمنزلة هذا للمذكر ويروى ما أشنعها نازلة أي ما أشنع هذه النازلة نازلة وأشنع أقبح والزلة الخطيئة والسقطة والنازلة المصيبة تنزل بالانسان ونصب أطربا بفعل محذوف كأنه قال : أتطرب طرباً بعد المشيب والطرب في هذا الموضع الفرح والطرب خفة تصيب الرجل عند شدة السرور أو عند شدة الجزع . والجلاء : بفتح الجيم مقصورا انحسار الشعر عن مقدم الرأس . يقول بعدا لما تصنعه أيها الأشيب الأحمق من تصابيك ، إنها لزلة عظيمة شائنة وفعلة معيبة تسود الوجه وتملؤه عيوبا . أفيليق بك أن تطرب وتلهو بعد أن غزا المشيب رأسك وجلا الشباب بزينته عنك

(٢) جمعت قطريه : أي جانبيه وهما هنا الطرفان أول الليل وآخره . وبنت ثمانين : ههنا الخمر ، وإنما سماها بنت ثمانين لأن من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة . وتجتلى : تجلى من جلوت العروس وهو إظهارها . يذكر أيام الشباب واللهو والمرح الصاخبة بمجالس الشراب فيقول كم من ليل وصلت لي طرفيه صبوحه وغبوقه الخمر المعتقة التي لبثت في دنها ثمانين سنة كانت حين

لَمْ يَملكِ الماءُ عَليْهـا أَمْرَها ۞ ولَمْ يُدَنِّسْها الضِّرامُ المُحْتَضى (١)

رِحِينًا هيَ الدَّاءُ وأحْيَـانًا بها ۞ مِنْ دائِها إذَا يَهيجُ يُشْتَفى (٢)

قدْ صَانَها الخَـمَّارُ لمـا اختارَها ۞ ضَنًّـا بها على سِواهُ واخْتَبَى (٣)

تدار علينا كؤوسها مع الوصائف والوصيفات كعروس أبرزت من خدرها وزفت مع أترابها ولداتها لبعلها وهذا يهدم دفاعنا عنه فى المقدمة عفا الله عنه

(١) لم يملك الماء عليها أمرها : يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها ولم يدنسها : لم يغيرها . والضرام : الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ . والمحتضى : العود الذى تحرك به النار وهو من قولهم حضأت النار إذا حركتها وأحضأتها إذا أشعلتها ومنه قول الشاعر :

ونار قد حضأت بعيد وهن ۞ بدار ما أريد بها مقاما

وقيل الضرام النار المضرمة ، والمحتضى المحرك . أى لم تمزج بالماء والخمر إذا مزجت بالماء ضعف تأثيرها ، يقول إنها قوية لم يلحقها المزج بوهن ولا فتور أوكلال وكما أنها لم تضعف بالماء كذلك فانه لم يحم عليها بالنار ولم تسو بها ، بل خمرت من دون نار ولاضرام لأن الضرام يدنسها ويذهب كريم طباعها

(٢) يقول إن الخمر فى بعض الأحيان داء وإنما يكون ذلك عند أول شربها فاذا أصيب شاربها بدائها فان شربها يكون هو الدواء لذلك الدواء وهذه مغالطة وهى كما يقول أبو نواس: « وداونى بالتى كانت هى الداء »

(٣) قد صانها الخمار : أى حفظها . وضناً : أى بخلا . واختبى : وخبى أى ستر . وقوله كلا : أى كلا خمر ، يقول إن هـذه الخمر معتقة وطيبة وإنما مما يضن ويبخل به فان الخمار الذى سبأها واشتراها لما تخيرها ورأى ما فيها من

فهي تُرَى مِنْ طُولِ عَهْدٍ إنْ بدَتْ
في كأسِها لأعْيُنِ النَّاسِ كَلا (١)

كأنَّ قَرْنَ الشَّمسِ في ذُرُورِها   بِفِعْلِها في الصَّحنِ والكأسِ اقتدى (٢)

نازَعْتُها أرْوعَ لا تَسْطُو على   نَديمِهِ شِرَّتُهُ إذا انْتَشى (٣)

الميزات صانها في دنانها ومنع عنها كل يد سواه وخبأها في الستور والمخابيء ضناً بها.

(١) يقول إنها لطول ماحفظت رقت وخفت وصفت فاذا صبت في الكؤوس شابهتها لأن الأمر يختلط على الرائي فيحسبها الكأس ، ويوضح هذا قول الشاعر :

رق الزجاج ورقت الخمر   فتشابها فتشا كل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

(٢) قرن الشمس : أي شعاعها . وذرورها . بالذال المعجمة وطلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت ،ومنه لا أكلك ماذر شارق أي ماطلع نجم. والصحن: القدح الكبير الواسع . والكأس القدح إذا كان فيه خمر ، ومعنى اقتدى : اتبع أثره . يقول إن هذه الخمر حين تصب في الكؤوس او الأقداح تضيء ماحر اليها وكأن الشمس حين تطلع إنما تقلدها في فعلها وتحاكيها

(٣) نازعتها : أي نازلتها وأدرتها من قول الله عز وجل (يتنازعون فيها كأساً) . الأروع : الحسن المنظر الجميل . لاتسطو : لاتعدو مأخوذ من السطوة يقال سطا يسطو سطوة إذا عدى عليه . والنديم : الصاحب . والشرة : الحدة ، وانتشى : سكر ، المنازعة مفاعلة من جانبين أي كنت أنا ونديمي

كأنَّ نوْرَ الرَّوْضِ نظمَ لفظِه
مُرْتَجِلاً أوْ مُنْشداً أوْ إنْ شدا (١)

مِنْ كلِّ ما نالَ الفتى قدْ نلْتهُ ... والمرْءُ يبْقى بعْدهُ حُسْنُ الثَّنا (٢)

أتنازعها فأعطيه الكأس مرة ويعطيني الكأس أخرى ، ثم وصف نديمه هذا بأنه حسن المنظر جميل الصورة رائع الحسن مؤدب لاتخشى بادرته حين تلعب الخمر بعقله وينتشى ويذهب لبه بل يظل هادىء الطبع حلو المجالسة لطيف الصحبة

(١) النور : الزهر ، المرتجل: الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد . أو منشدا : أى منشداً للشعر . أو إن شدا . أى أو إن تعلم شيئا من العلم وقيل أو إن شدا أو إن غنى وهو أجود وأليق بالمعنى لأن هذه الأحوال التى وصفها أحوال طرب لا أحوال طلب فلا معنى هنا لطلب العلم ، والشادى فى كلام العرب المغنى ، والشدو الغناء يقال شدا يشدو شدواً إذا غنى يقول إنه أديب راوية ناثر شاعر مرتجل ألفاظه جميلة كأنها أزاهير الرياض فى الملاحة والنضارة والخفة على السمع .

(٢) من كل ما نال الفتى قد نلته : أى من كل شىء طلب الفتى فأدركته من خير أو شر . والنثا : هنا مقصور يكتب بالألف لأنه من نثا عليه كلاما حسنا أو قبيحا ينثوه نثوا وهو بتقديم النون على الثاء إذا تكلم فى جانب المذكور بذلك الكلام فأما الثناء بتقديم الثاء على النون ممدوداً فلا يكون إلا فى الخير خاصة قال الشاعر فى النثا الذى يكون للخير والشر :

ولو عن نثا غيره جاءنى ... وجرح اللسان كجرح اليد

وقال الآخر فى الثناء الذى يكون للخير خاصة :

هذا الثناء فان تسمع به حسناً ... فلم أعرض ـ أبيت اللعن ـ بالصفد

فإنْ أمُتْ فقَدْ تناهتْ لذّتى   وَكلُّ شَىءٍ بلَغ الحدَّ انْتهى (١)

وإنْ أعِشْ صَاحبتُ دهْرِى عَالِمًا   بمَا انْطوَى مِنْ صَرْفهِ وما انْتَشَى (٢)

حَاشا لِما أسْأرَهُ فِىَّ الصِّبا   والحِلمُ أنْ أتبعَ رُوَّادَ الخَنا (٣)

لما عدد كل الملاذ والمتع والمفاخر التى لبنى الانسان من الفروسية وركوب الخيل العتاق واستصحاب الرماح السمهرية وصحبة كرام الناس وأجوادهم وأشرافهم مع ماهوعليه من قويم الأخلاق والقوة والبسالة والعطف على الصديق والعفو عن الضعيف أفاض فى ذكر النساء والخمر وحسن الندامى والأصحاب وكل خير يناله الفتى واستمتعت به حياتى ولقد أبقيت بعد مماتى الثناء الحسن والذكر الجميل فقد جمعت بين الشرفين وحزت أسنى الغايتين

(١) تناهت لذتى : بلغت النهاية والغاية . والحد : الشىء الذى لايتجاوز . يقول إننى إذا مت فكفى ما أصبت من اللذائذ واستمتعت به من طيبات هذه الحياة ويعزينى فى ذلك أننى نلت غاية اللذة وكل ما بلغ الغاية تلاشى .

(٢) بما انطوى من صرفه وما انتشى : انطوى استتر وانتشى ظهر وهو بالشين المعجمة والمستقبل ينتشى وصرف الدهر تقلبه . يقول : إننى لطول اختبارى للحياة وتجربتى وابتلائى بالشدائد والمحن ، أصبحت عالما بما تجنه الأيام والليالى فان قدر لى عيش فسأصبر على البلاء .

(٣) حاشا: كلمة تبرئة والتبرئه نفى الدنس عن ذات المخاطب قال الله عزوجل (وقلن حاش لله) . وأسأره : أبقاه ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا

أَوْ أَنْ أُرَى لِنَكْبَةٍ مُخْتَضِعاً   أَوْ لابْتِهَاجٍ فَرِحاً ومُزْدَهِى (١)

شربتم فأسئروا ، أى أبقوا فى الاناء بقية والسؤر البقية . والحجا : العقل والحلم: التغافل عن كل مكروه يقابل به ويواجه . والرواد : جمع رائد ، ورائد القوم رسولهم الذى يرتادلهم موضع الكلأ أى يطلبها لهم ، والكلأ : العشب . والخنا: الفحش فى الفعال أو المقال وهو من الخنوة وهى الفرجة فى الخص . يقول إنه لايليق بى ولا يتعلق بحاشيتى وإنى أتنزه وأبرأ عن سلوك الطريق التى يرتادها السفلة الرعاع فان لى بقية من العقل والحلم تمنعنى من غشيان هذه المسالك .

(١) أو أن أرى مختضعا : أى متذللا . والنكبة : المصيبة الحادثة . والابتهاج : السرور . والمزدهى : المستخف وقيل المعجب . يقول كذلك من المحال أن يرانى أحد ذليلا ضارعا إذا عرتنى نكبة أو يرانى إنسان فرحا معجبا إذا نالتنى مسرة بل أنا حازم مالك لزمام نفسى راض بما قسم الله لى ، لتيقنى أن مصائب الدنيا ونكباتها زائلة ، ومسراتها ولذاتها فانية . ولن يبقى غير وجه ربك ذى الجلال والاكرام .

عبد الله اسماعيل الصاوى
(بإدارة إحياء التراث القديم)

وقد وافق فراغى من كتابة هذا الشرح الموجز الفراغ من طبعه فى غرة شعبان سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٥١ ولله الحمد والمنة .